الباب الرابع
الزراعة والري في حرستا

الفصل الأول: الأنهار والري في حرستا.

الفصل الثاني: الملكية الزراعية وأنواعها.

الفصل الثالث: زراعة الأشجار والحبوب والخضراوات.

الفصل الرابع: استعمال الأدوات القديمة.

الفصل الخامس: تربية الحيوانات.

الفصل الأول
الأنهار والري في حرستا

تبدلت معالم حرستا، إذ كثرت فيها الأبنية والمصانع، وتجددت معها المرافق والمعالم. وحرستا تلك البلدة الزراعية التي لم يتبدل ماؤها ولا هواؤها ولا تربتها، وهي لا تزال تُسقى من خمسة أنهار مشتقة من نهر بردى وهي: ثورا، يزيد، الدومي، الحرستاني، العلّيتة:

نهر ثورا: نسبةً إلى الأمير ثورا[1] قبل الإسلام، وهو باصطلاح أهل الزراعة والري اثنتان وأربعون مسكبة[2]، وفيه أربع عشرة ماصية[3]. وثبت لدى القاضي صدر الدين أبي العباس أحمد بن شمس الدين أبي البركات يحيى بن هبة الله بن الحسن بن يحيى بن يحيى ابن محمد الشافعي الحاكم كان بدمشق يوم الجمعة ثاني جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وستمائة جميع ما تضمَّنه المحضر الذي من مضمونه، وشهد في المحضر أربعة شهود وهم: عبدالله بن رحمويه، وسليمان بن داود بن عمر بن خطيب بيت الآبار[4]، ومحمد بن خميس بن محمد، وإبراهيم بن سلامة بن عيسى الشافعي. أن العادة المستمرة، والقاعدة المستقرة الجارية في عدادين[5] نهر ثورا من أهل الأماكن الآتي ذكرها من كورة غوطة دمشق من السنين المتقادمة، والأعوام المتطاولة، أن لأهل قريتي دومة وحرستا الزيتون بينهما

---

(1) ذكره ابن عساكر وكتبه (ثورة)، ورسمه آخرون بالألف المقصورة (ثورى)، وأما ياقوت الحموي فكتبه (ثورا). ويسميه الناس اليوم (تورا)، وهو من صنع الآراميين. أما نسبته فمختلف فيها، فقال ناس إنه سمي باسم أمير اسمه (ثورى) كان قبل الإسلام. وقال آخرون إنه أحد ملوك المسلمين. (خطط دمشق، صلاح الدين المنجد، ص: 29).

(2) المسكبة: وهي ما يجعله الفلاح بين حاجزين من التراب، وتكون ضيقة وبطول أرضه، وفيها يزرع ما يشاء من المحاصيل. وأكثر ما يزرع فيها الباذنجان والخنطة والفصَّة... الخ.

(3) الماصية: تجمع على (مواصي)، وهي فتحات توجد على ضفة القناة من مسافة لأخرى، تختلف في أشكالها وسعتها، وتفتح في أوقات محدودة.

(4) بَيتُ الآبار: جمع بئر، قرية يضاف إليها كورة من غوطة دمشق فيها عدة قرى، خرج منها غير واحد من رواة العلم، (معجم البلدان: 1/ 519).

(5) عدادين: مفردها، عدَّان؛ وهو فترة زمنية تتكرر كل مدة معينة، ويكون النهر أغزر ما يمكن بحيث لا يوضع أي سد أمام النهر عند الموزع.

نصفان ثمانية عدادين في ثمانية أيام متوالية ثم يتلوها لأهل قرية عربيل وقرية مديرة ومسرابا ولداريا الصغرى، ولثلاثة مزارع من قرية حرستا الزيتون تعرف إحداهنَّ بعذرون[1]، والأخرى بسطرا، والثالثة بانطايا أربعة عدادين من هذه الأماكن المؤخر ذكرها من وقت العصر إلى طلوع الشمس[2].

ويأخذ ثورا مياهه من نهر بردى، ويكون نصيبه 14/ 24 من باقي تصريف بردى، بعد أن أخذ نهر يزيد 18/ 24 قيراطاً. وهكذا نلاحظ أن مياهه تكون قليلة عند مقسمه، غير أنها لا تلبث أن تزداد كميتها بسبب المياه التي تهبط إليها من مواصي نهر يزيد.

ومياه ثورا تسقي حوضاً يقدر طوله بحوالي 18كم، ومتوسط عرضه نحو 3كم، وهو يروي الأراضي الواقعة بين مجراه ونهر بردى، ويصل حتى أراضي بلدة دومة حيث ينتهي هناك في فصل الجفاف، إلاَّ أنَّه في فصل الشتاء يصل إلى قرية عدرا، ومنها إلى بحيرة العتيبة[3].

حقوق المياه ونظام توزعها على نهر ثورا:

إن توزيع المياه على نهر ثورا أشدّ تعقيداً وتشابكاً من نهر يزيد، وخاصة كلما اتجه النهر شرقاً، وتزيد مياه ثورا على ضعف مياه يزيد، وهي تسقي مساحات أكبر وإذا كانت مياه يزيد تنتهي في بساتين حرستا الشمالية، فإن مياه ثورا تصل إلى أرض عدرا وتسقيها في أوقات خاصة، عدا ري أراضي دومة، وجزء كبير من أراضي حرستا وعربيل، وجزء من جوبر.

وأما فرع حرستا ودومة فيأخذ ثلثي مياه ثورا، ويسير باتجاه الشمال الشرقي إلاَّ أنَّ عمق مجراه لايسمح بري الأراضي الغربية من ضفافه. ولذلك يلجأ الفلاَّحون هنا إلى مياه يزيد التي تتخطَّى مجراه مجرى ثورا على أربع عبَّارات، وفي منطقة الخشبة بحرستا تقسم مياه ثورا إلى قسمين:

---

(1) لعلَّ المقصود (بعذرون)، هي منطقة العذرواني في حرستا.

(2) القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، ابن طولون: (1/ 369).

(3) العتيبة: قرية تقع في سهل منخفض تحيط بها مروج واسعة، ويخترقها نهر بردى، وهي شرقي غوطة دمشق، وفي شرقي العتيبة بحيرة مشهورة يصب بها فائض نهر بردى وخاصة في فصل الشتاء. وكان رزق أهلها من زراعة القمح والقش والقصب الذي ينبت في البحيرة. (الريف السوري، أحمد وصفي زكريا: 1/ 361).

القسم الأيسر: ويعرف باسم نهر الدومي، ويضم ثلثي المياه، ويروي عربيل ومديرة ومسرابا ودومة، والجزء الشرقي من حرستا. ولكنَّ النهر الدومي لا تسمح مياهه بتغذية (جميع الأقنية)[1] المتفرعة عنه بشكل دائم.

القسم الأيمن: وهو يضم ثلث المياه، ولكن فيه (ماصية دائمة)[2] تأخذ مياهها من قبل الإنقسام وتسمى (السبيل)[3]، ويروي هذا القسم حرستا ولكنَّه يعود فينقسم إلى قسمين الشرقي ويسمَّى (الحرستاني)، والغربي ويسمَّى (العلّيتة). فحرستا ترتوي من نهر يزيد وفروع نهر ثورا، ويختلف العدان من نهر إلى نهر كما يختلف توزيع المياه بين الربيع والصيف، والأرض القريبة والبعيدة.

عدَّان الدَّبس:

وهو خاص بكروم[4] بلدة دومة. ومهمته سقاية الكروم مدة ثمانية أيام اعتباراً من 22 كانون الثاني حتى نهاية الشهر في كل عام، ويقتضي ذلك تحويل مياه بردى كلها إلى نهر ثورا وإرسالها إلى الكروم خلال المدة المذكورة.

الري من النهر الدومي:

يكون العدان لأرض حرستا من هذا النهر في آخر عدان دومة الذي يبتدئ من الثلاثاء حتى صباح الثلاثاء التالية فيكون عدان حرستا مدة يومين هما الثلاثاء والأربعاء.

---

(1) الأقنية التي تتزوَّد بالمياه خلال ثلاثة أيام هي:
- السياق: وهي تروي مسرابا، وتنفصل عن يمين الدومي مارة بين مديرة ومسرابا.
- السكَّة: وهي تحاذي طريق دومة مع سكة الترام قديماً وتسير نحو أراضي عدرا.
- الشيفونية: وتنفصل عن يمين قناة السكة، وتسقي قسماً من حقول الزيتون الواقعة إلى الجنوب الغربي من طريق دومة.

(2) الماصية الدائمة هنا: هي فوهة محفورة داخل حجر تمر منها المياه ولا تغلق هذه الماصية مطلقاً.

(3) السبيل: هو عبارة عن ماصية مفتوحة بشكل دائم ولا تغلق أبداً، وغالباً ما يكون الغرض منه تأمين الحاجات المنزلية ويختلف قطر فتحته بين 5 - 40 سم ولكنه في الغالب ذو قطر صغير. ويلاحظ أن أسماء السبلان والمواصي مأخوذة عن أسماء البساتين والحقول والمواضع الهامة التي تمر فيها هذه المياه.

(4) وهذا يوم كانت بلدة دومة تشتهر بزراعة (العنب الدوماني) الذي لا مثيل له من حيث لونه الأحمر، وطعمُه الحلو.

ثم يأتي عدان مسرابا ويكون يوم الخميس، وعدان عربيل ومديرة يكون يوم الجمعة والسبت والأحد والاثنين. وفي هذه الأيام يكون لحرستا (بجْليَّة)[1] مدة يوم الجمعة والسبت والأحد، وبجلية لمسرابا مدة يوم الاثنين. فعدان دومَة يكون في يوم: الثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت والأحد والاثنين.

وعدان حرستا في يوم: الثلاثاء والأربعاء.

وعدان مسرابا في يوم: الخميس.

وعدان عربيل ومديرة وبجلية حرستا ومسرابا في أيام: الجمعة والسبت والأحد والاثنين. ومعنى ذلك أن العدان يتكرَّر كل مدّة قدرها / 15/ يوم.

تقسيم مياه النهر الدومي في أرض بسطرا:

يكون الري في هذه الأرض كل 15 يوم عدان، وكل 15 يوم (فتاح)[2]، وكل 15 يوم يكون هناك بجلية. والمياه في أرض بسطرا فرقتان وتشربان من النهر الدومي فقط وهما:

الفرقة الأولى: لعائلة (محفوض).

الفرقة الثانية: لعائلة (أبو زيتون)، وقسم لبعض العائلات الأخرى. ويفضِّل الفلاَّحون في أرض بسطرا الري يوم الأربعاء من الصباح إلى الظهر بالمزاودة، لأن المياه تكون أكثر تدفقاً، ومن الظهر إلى المساء تكون شبه قليلة.

الري من نهري الحرستاني والعلِّيتة:

يروي هذان النهران أكثر أراضي البلدة، وفيهما أكثر التقسيمات تعقيداً حيث تختلف المياه بين الربيع والصيف، وتنزيل المياه من العلِّيتة إلى الحرستاني في أيام معينة مما يزيد تعقيداً. ويكون لنهر الحرستاني عادة ثلثي المياه، ولنهر العلِّيتة الثلث.

ويبتدئ (كري)[3] الأنهار بعد أن تحوَّل مياهها في 27 شباط من كل عام، وبعد أن تأتي المياه الجديدة مدة ستة عدادين يطلق عليها مياه الربيع، بينما مياه بقية أيام السنة يطلق

---

(1) البجْليَّة: هي فتح ثلثي موزع المياه، أي أن مياه البجلية تساوي ثلثي مياه العدان.

(2) الفَتاح: هو حق لأصحاب الأراضي الذين يشربون من النهر الدومي، وهو (عدان) رسمي. وهو عند انتهاء حق دومة ويقسم في حرستا إلى خمسة أقسام سيأتي شرحها لاحقاً.

(3) يكري كرْياً النهر، أي حفر فيه حفرةً جديدة، وهو تنظيف (تعزيل) الأنهار من الأعشاب والرواسب.

عليها اسم مياه الصيف، والعدان في أيام الربيع للأرض التي تقع شمال حرستا وتسمى السلطاني، بينما مياه الصيف لهذه الأراضي البجلية والسبيل.

توزيع المياه بين الحرستاني والعلّيتة:

تكون دورة العدان كل / 15/ يوم، ومدته / 7/ أيام من الخميس إلى الخميس.

في الربيع: تنقسم المياه بين الحرستاني والعليتة إلى ثلثين للحرستاني، وثلث للعليتة. مدة ثلاثة أيام. أما الأيام الأخرى من العدان فتكون المياه كلها للحرستاني.

في الصيف: تكون ثلثا المياه للحرستاني، والثلث للعليتة مدة 6 أيام. أما اليوم الباقي من العدان فتكون المياه كلها للحرستاني.

البجلية: ليس لنهر العلّيتة بجلية، ولا سبيل وتكون في الربيع كل شهر مرة تبتدئ من بعد ابتداء العدان بيوم واحد، أي من صباح الجمعة وتنتهي يوم الثلاثاء بعد شروق الشمس بثلاث ساعات، أي تدوم الجمعة والسبت والأحد والاثنين وصباح الثلاثاء فقط. لكن تكون البجلية في الصيف كل 15 يوم.

السبيل: تكون ماصية السبيل مفتوحة بصورة دائمة وتبقى مياهها وحدها في النهر في الأيام التي لم يكن فيها عدان ولا بجلية.

تقسيم المياه بين الفلاحين:

تكون المياه في نهر الحرستاني أربعة أقسام، كل قسم يسمَّى (فرقة)، ويكون الفلاَّحون أربعة أقسام كل قسم يسمَّى (ربع)، وتتناوب هذه الأرباع. فالربع الذي يكون الأول في العدان الأول يكون الثاني في العدان الثاني والثالث في العدان الذي يليه، والأخير في العدان الذي يلحق وهكذا.

أما في نهر العلّيتة فتنقسم المياه إلى قسمين، وكل قسم يسمَّى (فرقة)، بينما يكون الفلاَّحون ستة أقسام. وكذلك تختلف مدة ما يصيب الربع الواحد بين الصيف والربيع.

الربيع: الأيام الأربعة الأولى يصيب كل ربع / 5. 22/ ساعة، والأيام الثلاثة الباقية يصيب كل ربع / 21/ ساعة وهذا في نهر الحرستاني.

أما في نهر العلّيتة فإنَّ لكل قسم من الأقسام الستة / 12/ ساعة من جميع مياه النهر.

الصيف: الأيام الأربعة الأولى يصيب كل ربع / 24/ ساعة، والأيام الثلاثة الباقية من العدان يصيب كل ربع / 21/ ساعة وهذا في نهر الحرستاني.

أما في نهر العلّيتة فإن المياه تبقى فيها 6 أيام، وكل قسم من الأقسام الستة له يوم كامل أي / 24/ ساعة بمياه النهر كلها.

نهر يزيد:

أخرج الحافظ ضياء المقدسي من طريق أبي عبدالله أحمد بن عبيد الله بن يزيد، حدثني أبي عبيد الله بن يزيد، حدثني أبي يزيد بن زفر عن أبيه زفر، قال: سألت مكحولاً عن نهر يزيد كيف قصّته، قال: سألت مني خبيراً، أخبرني الثقة أنه كان نهراً صغيراً يجري بشيء يسير يسقي في الغوطة ضيعتين[1] لقوم يقال لهم بنو قوفا، ولم يكن لأحد فيه شيء غيرهم، فماتوا في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، ولم يبق لهم وارث فأخذ معاوية ضياعهم وأموالهم، فلم يزل كذلك حتى مات معاوية سنة ستين للهجرة، وولي ابنه يزيد، فنظر إلى أرض واسعة ليس لها ماء، وكان مهندساً، فنظر إلى النهر فإذا هو صغير فأمر بحفره فمنعه من ذلك أهل الغوطة ودافعوه فَلطف بهم على أن ضمن لهم خراج سنتهم من ماله، فأجابوه إلى ذلك فاحتفر نهراً سعته ستة أشبار في عمق ستة أشبار على أنّ له ملء جنبتيه وكان كما شرطه لهم. ومات يزيد في سنة أربع وستين للهجرة. فلم يزل هذا النهر كذلك حتى ولي هشام بن عبد الملك، فسأله أهل حرستا شرب سقائهم وماء لمسجدهم، فكلم فاطمة بنت يزيد في ذلك فأجابته على أن يحتفر نهراً صغيراً يجري إلى مسجدهم للشرب لا غير، وفتح الحجر الذي يمرّ به الماء بقرية حرستا فتر في فتر مستدير يجري لهم من الأرض على مقدار سيره من ارتفاع بطن الأرض. وسأل عبد العزيز مولى هشام أن يجري له شيئاً يسقي ضيعته فأجابه بعد أن سأل في أمره، وصيِّرت له ماصية فتحها شبر في شبر أصغر منه[2].

---

(1) هما أهل حرستا والقابون.

(2) انظر (القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، ابن طولون الدمشقي: 1/ 366)، و(تاريخ دمشق ابن عساكر: 1/ 244 ـ 245).

شبكة نهر يزيد:

يتفرع نهر يزيد من بردى من الجهة اليسرى إلى الجنوب من قرية الهامة، حيث أُقيم على نهر بردى سد مكوَّن من ركائز خشبية مغروزة في قاع النهر (كبَّاشات). ويبلغ عرض بردى في تلك النقطة 32م، أما عرض يزيد فهو 25 . 10م فقط. ويحدِّد العرف نصيب نهر يزيد بـ 18/ 24 قيراطاً من تصريف النهر، ويعتقد أن هذه النسبة يجري العمل فيها أيام الصيف فقط بسبب الحاجة إلى الماء آنذاك، كما أن ضبط المياه ومعرفة مقدارها شتاءً يصعب إبَّان وقت الفيضان. أضف إلى ذلك أن وجود مياه غزيرة في أيام الشتاء يستدعي وضع السدّ في مدخل نهر يزيد درءاً للفيضانات في هذا النهر الصغير.

ونهر يزيد من نقطة تفرعه حتى دخوله الغوطة عند الربوة يبقى معلَّقاً على سفح الكتلة الجبلية، حيث حُفر مجراه في الصخر، ويمر أحياناً بأنفاق داخل الصخر.

ويؤلف نهر يزيد الحد الفاصل تقريباً بين الأراضي المرويَّة، والأراضي الجافَّة أو الأراضي التي يرويها تورا. ويتمِّم نهر يزيد مجراه ماراً بعد خانق الربوة ببساتين الصالحية، ويتابع مجراه حتى ينعطف نحو برزة، ثم يمر بالقابون وحرستا، حيث يسقي أرض السعدية والجدار والعوينة، وينتهي في منطقة المسروب إلى الشمال الشرقي من البلدة.

يسقي نهر يزيد قسماً من أراضي قرية الهامة وأراضي دمر الشرقية حتى الشادروان ومنتزهات الربوة الشمالية، ثم يسقي أراضي الصالحية الكائنة فوق نهر تورا وبساتين القابون وحقول حرستا الشمالية. وقد يضطر أهالي القابون إلى شراء قسم من مياه برزة الآتية من وادي منين لعدم كفاية مياه نهر يزيد لسدّ حاجة أراضيهم.

يبلغ عرض نهر يزيد 2م أو يزيد قليلاً، ولكن هذا العرض يتَّسع أحياناً حتى يصل إلى 10م في بعض نقاط مجراه، كما يعمق المجرى أيضاً حتى يصل إلى حوالي 3م أو أكثر بقليل، وإن توسيع المجرى وتعميقه إنما هو عمل مقصود يُراد به الإقلال من أخطار المواد الردمية التي تجلبها السيول الهابطة. لذلك فقد عملوا على توسيع مجراه في النقاط التي تهبط الأودية فيها إلى النهر خوف الردم. أما تعميق النهر في جوار تلك النقاط أيضاً فالغرض منه استقبال المجروفات التي تحملها السيول وتلقيها في النقاط

المنخفضة، وفي كل سنة ترفع مقادير عظيمة من هذه المواد المترسبة أثناء قطع النهر (أي وقت تطهيره)[1].

حقوق المياه ونظام توزعها على نهر يزيد:

يأخذ يزيد من المياه ما يعادل 75٪ من نهر تورا، إلاَّ أنَّ هذه الكمية من المياه لا تلازم النهر على طول مجراه، بل يفقد قسماً هاماً منها يقدَّر بالنصف تقريباً قبل دخوله إلى أراضي الصالحية عند خانق الربوة، وتعود هذه المياه إلى بردى اعتباراً من مقسم يزيد حتى جسر الخشب (حيث يوجد مقسم تورا) ثم إلى قناة تورا بين جسر الخشب والقابون. وهكذا تتناقص مياه يزيد كلما تقدم شرقاً، حتى يجف مجراه تماماً في شرقي بلدة حرستا، ويفقد النهر مياهه بالطرق الثلاث التالية:

1 ـ بالترشيح خلال الشقوق والثقوب في ضفاف النهر نفسه.

2 ـ بواسطة فتحات السقاية من مواصٍ وسبلان.

3 ـ بواسطة الحواليل[2].

أما كمية المياه الباقية بعد خانق الربوة فتتوزع إلى أربعة أقسام الربع الثالث منها يروي أراضي القابون، ويقسم مجراه إلى فرعين وهما:

الفرع الأول: يأخذ 11/ 24 قيراطاً إلى القابون.

الفرع الثاني: يأخذ 13/ 24 قيراطاً إلى حرستا.

أما عدم التساوي في التوزيع فهو بمثابة تعويض لبلدة حرستا لقاء القيراطين من المياه اللذين يأخذهما القابون بعد هذا المقسم العام.

والربع الأخير يتجه نحو مقسم القابون إلى حرستا حيث يسقي بساتينها وينتهي فيها.

---

(1) تلك هي حال نهر يزيد منذ سنوات، أما في الماضي فقد ذكرنا أنه كان صغيراً ضيقاً حتى جاء يزيد بن معاوية وعمل على توسيعه وتعميقه، بحيث أصبح يسقي بساتين كلاً من القابون وحرستا.

(2) الحواليل: هي فتحات خاصة لها معايير معلومة، إذا زادت المياه عنها فاضت وعادت منها إلى نهر بردى. وبشكل عام يتألف (الحالول) من فتحة كبيرة واسعة، ذات باب حديدي يوضع في النهر لسد مجراه حين اللزوم. ومن هذه الحواليل ما يكون مهمته تصريف المياه نحو الأودية بالإضافة إلى أنها تغسل مجرى النهر، وتفرغ جزءاً كبيراً من رواسبه وتسمى (حواليل الغسل). ومن هذه الحواليل ما يخصص لزيادة المياه أو تقليلها، فهي بمثابة نواظم للمياه في مجرى النهر، فتفتح إبان الفيضان وتغلق أثناء فترة الشح، وتكثر الحواليل على نهر يزيد وتورا للغسل والتخفيف.

ويستقي الزرّاع من ماء يزيد في أوقات محددة ثابتة، وبشكل يستطيع معه جميع أهالي النهر من سقاية أراضيهم دون إضرار بعضهم بعضاً، خاصة وأنَّ أقل خلل أو تعدّ قد يودي بمحاصيل كثيرة، بسبب شدة الحاجة للسقاية في هذه الأراضي المرتفعة التي يكثر فيها الحصى والحجارة.

ومناوبة الري من نهر يزيد أسبوعية، والتقيد بالأوقات يجري بدقة زائدة، وخاصة في سني المحل والجفاف التي تتميز بنقصان كبير في مياه بردى.

نهر يزيد في حرستا والقابون:

تدخل مياه يزيد كلها إلى أراضي القابون أيام الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء وقسماً من الخميس. وفي القابون ثلاثة مقاسم هامة لتوزيع مياه يزيد وهي:

1 ـ **مقسم جسر القبة**: وهو يوزع المياه بالتقتير إلى كل مجموعة من أصحاب الحقوق وفي مقدِّمتها حصة حرستا.

2 ـ **مقسم القابون**: يدخل نهر يزيد القابون فيعترضه حاجز طولي يقسم مجرى النهر إلى فرعين:

الفرع الأول: يحمل المياه إلى بلدة حرستا.

الفرع الثاني: يحمل المياه إلى بلدة القابون.

ويتحدد نصيب كل من هذين الفرعين (يزيد حرستا، ويزيد القابون) بواسطة فتحتين أبعادها: 141سم لحرستا، و128سم للقابون.

3 ـ **مقسم الجامع**: ويحتوي هذا المقسم على ثلاث فتحات، منها 127سم، وتقع على استقامة مجرى نهر يزيد القابون نفسه، والفتحتان الأخريتان يبلغ عرض كل منهما 64سم، وهما تغذيان الفروع التي تسقي الأراضي الواقعة إلى الجنوب من البلدة.

ويتابع يزيد حرستا سيره نحو الشمال الشرقي، ولا يلبث أن يفقد ثلثي مياهه، وعند دخوله أراضي البلدة يعترضه مقسم، توزع فتحاته المياه إلى أخماس. وهذا يعني أن ثلث المياه على الأقل تجري باستمرار لتغذية يزيد حرستا. وهكذا نلاحظ أنَّ نهر يزيد يفقد أهميته عند وصوله إلى الأقسام الشمالية من أراضي حرستا، ولذلك يضطر أصحاب الأراضي لشراء المياه من برزة لإعطاء أراضيهم كفايتها من المياه.

شبكات الري بين يزيد ومنين وتورا:

يلجأ أهالي القابون وحرستا عادةً إلى شراء مياه منين، ويرجع ذلك إلى سببين:

الأول: عدم كفاية نهر يزيد.

الثاني: تموجات الأرض الواضحة في حرستا بشكل خاص، حيث تفرض على نهر يزيد إما أن يشكل منحنىً واسعاً نحو الجنوب الشرقي، وإما أن يحفر مجرىً عميقاً ليحصل على نسبة كافية من الإنحدار، وقد اختير الحل الثاني[1].

نهاية نهر يزيد:

بعد أن يخترق يزيد الضواحي الشمالية لمدينة دمشق، حيث يسقي الفلاحون بساتين الخضر والفواكه على نطاق واسع حيث يقلُّ تصريف النهر تدريجياً، فيصل إلى حرستا قليل المياه، ولذلك حلَّت زراعة أشجار الزيتون محل أشجار المشمش، لأن هذه الأراضي لا تروى إلاَّ مرَّةً كل شهر. ومع ذلك فهي تشكل جزءاً من الغوطة، ولكنها غوطة شبه جافة، حيث كانت تُشاهد برك للمياه تجمع فيها مياه الشتاء، يطفئ الفلاح منها ظمأه خلال شهر تموز ويسقي منها دوابه. وينتهي نهر يزيد في مجرى سيل جاف من الأراضي الغربية للبلدة تتدفق فيه المياه في أعقاب أمطار شباط الشديدة فتلقي فيه الحصى والرمال وهو يجمع المياه التي تفيض عن نهر يزيد وعلّيته في فصل الربيع ويسير فوق الحافة الشمالية لحوضة نهر تورا.

حرستا والري من نهر يزيد:

يروي يزيد غرب حرستا، كما أنَّ الحمَّام والآبار التي يحفرونها لجمع المياه كلها تأخذ ماءها من يزيد. والعدان يبدأ من المغرب يوم السبت من كل أسبوع، ويدوم إما إلى طلوع الشمس من يوم الأربعاء حيث تحول المياه من الصالحية ويعرف هذا العدان (بالأربعاء الصغيرة)، وإما أن يدوم إلى ظهر الأربعاء ويعرف (بالأربعاء الكبيرة). أما بقية الأيام وهي

---

(1) الواقع أن الأراضي المجاورة لنهر يزيد، لا تستطيع أن تتلقى مياهها من النهر، ولذلك تُساق إليها المياه من مناطق أعلى، كما كان في أراضي القابون وحرستا 10 معابر تحمل مياه بلدة منين لري الأراضي الواقعة إلى الجنوب الشرقي من نهر يزيد، وهناك قناة المياه الآتية من بلدة برزة وتلقيها في نهر يزيد حرستا الجاف بعد جامع القابون، إذ تصل مياه منين وتصب في نهر يزيد حرستا فتزيد في تصريفه، وري البساتين الواقعة إلى جنوبه.

الخميس والجمعة والسبت فالنهر في حرستا جاف تماماً، وتقسم مياه النهر إلى أربع فرق، وتقسم الأراضي التي لها نصيب من المياه إلى أربعة أرباع، وكل ربع له يوم كامل، أي 24 ساعة في مياه النهر كلها أي بالأربع فِرق.

نظام الري في البلدة:

تُروى أرض حرستا بتوجيه مياه الأنهر إلى الحقول بالراحة، فحرستا عبارة عن أرض منبسطة واسعة البساتين يرتفع سطحها عند أطرافها الشمالية والغربية، وتأخذ في الإنخفاض تدريجياً نحو الشرق. وقد قام الحرستانيون قديماً بتنظيم هذا المنحدر الخفيف لتسهيل عملية الري وحفظ التربة من الإنجراف. ولقد لجأ الناس قديماً إلى تفريع نهر بردى قبل خانق الربوة، وذلك لتتمكن مياهه من الإنحدار من أعلى نقاط ممكنة وتروي بالراحة أكبر مساحة من أراضي الغوطة، وتتفرع شبكته المائية على شكل مروحة، وهذا ما نراه في القناتان الممتدتان على سفح الجبل الأيسر وهما (يزيد وتورا).

وتجري عملية الري في البلدة بطريقة التناوب. فالفلاح الحرستاني يبدي نشاطاً كبيراً عندما يحين دوره في السقاية وخاصة في الصيف حيث يواصل جهوده حتى في الليل، فيتزود بمصباح (فانوس) ويذهب من حقل إلى حقل مسلّحاً برفشه ذي الساعد الطويل. وبعد أن تحصل الأرض على حاجتها من المياه التي يقدِّرها الفلاح بحسب نوع النبات وطبيعة الأرض، ينزل إلى الساقية بقدميه الحافيتين ليوقف تدفُّق المياه بإقامة سد صغير من الطين والحصى يضعه في مجرى الجدول نفسه ويسمَّى في حرستا (التُمُّ).

أما فروع الأنهر الرئيسية فهي مزودة بدعامات مبنية، تغلق فتحاتها بواسطة ألواح خشبية أو معدنية مسطَّحة، ويسمى الواحد منها (باب) تقوم مقام السدود.

أوقات استعمال المياه:

تتوقف أعمال الري خلال أشهر الشتاء، وذلك من كانون الأول وحتى نهاية شباط، ويترك الفلاح مياه الأنهار تجري دون أن يستفيد منها. وعندما تصل مياه السيول تزداد سرعة جريان المياه في الأنهار. وفي شهر آذار تكون الأقنية جافة ونظيفة، وفي مطلع نيسان تبتدئ السقاية الجدِّية وتستمر خلال فصل الجفاف كله، من الصيف حتى تشرين

الثاني. وفي هذه الفترة يكثر الفلاحون من استغلال مياه النهر في مجراه الأعلى فلا يبقى من مياهه سوى جداول صغيرة لا تكفي الزراعة الشجرية أو زراعة البقول الصَّيفية.

وسائل السقاية القديمة في البلدة:

استخدم الفلاح الحرستاني في الماضي جميع الطرق، ولجأ إلى مختلف الأساليب للانتفاع بالمياه في استثمار الأرض، واستنباط خيراتها، فاستعمل (الناعورة)، والدولاب الفارسي. إلاَّ أنَّ جميع هذه الوسائل التي اتبعها في السقاية ورفع المياه قد انقرضت في الأربعينات من القرن الماضي، فقد كانت السقاية بالنواعير شائعةً فوق نهر يزيد لسقاية الأراضي التي تمتد شمال النهر، وهي تدور بقوة الماء الدافعة للنهر نفسه. وكان هناك نوع من النواعير تديره الدواب، وهي الناعورة الخشبية، وتشبه الناعورة السابقة إنما يديرها الحيوان بدلاً من الماء، وكانت تنتشر على الآبار التي تأخذ مياهها من السرابات (الأنفاق) المتَّصلة بمجرى النهر. وكانت توجد بعض النواعير الحديدية الصغيرة تديرها الدواب أيضاً. وكانت كثيرة الانتشار في كروم بلدتي دومة وحرستا.

مصطلحات الري في البلدة: وهي كثيرة في حرستا وأهمها:

المزّاز: وصحيحها (المصَّاص)، وهو الموزع أو المقسم لمياه النهر. وتوجد المزازات عادةً في جميع الأماكن الهامة. فمنها ما يقسم المياه بين حرستا وغيرها من القرى، ومنها ما يقسم الماء بين اثنين من الملاكين المتجاورين. ويتألف المزاز عادةً من عدة أحجار كبيرة متباعدة، توضع على استقامة واحدة في وسط المجرى تصل بين ضفة وأخرى، وغالباً ما تكون المسافات التي تفصل بين هذه الأحجار مسجلة في نصوص مكتوبة، أو حجج شرعية. والغرض من هذه الحجارة هو تعضيد السدود الترابية التي يقيمها الفلاحون في مجرى النهر عندما يريدون سد القناة أو تبديل نظام التوزيع.

البَسْط: يستخدم بعض الحرستانيين كلمة مزاز أو بسط دون أن يميز بينهما، إلاَّ أنَّ بعضهم يرى أن كلمة مزاز تطلق على المقسم الذي يكون فيه جريان المياه أكثر وضوحاً.

السِّكْرِ أو السدّ: ويتألف من سد ترابي أو من لوح خشبي يوضع ويرفع في أوقات محددة.

النَّفْل[1] : وهو المجرى المحفور في الجزء الأوسط من قاع النهر، وعلى طول وعمق محدّدين، والغرض من النفل هو زيادة تصريف المياه الجارية في النهر، ليتمتع بها أصحاب الأراضي الواقعة في القسم الأسفل من النهر، ويفتح هذا النهر بواسطة المحراث القديم (الفدان) الذي تجره الدابة.

حَريمُ النهر: وهو المساحة المخصَّصة لتكويم الطين المستخرج من قاع النهر وقت تطهيره، وتكون على ضفتي النهر على شكل شريطين يحفَّان بمجراه. ويبلغ عرض كل منهما عادة بقدر عرض النهر نفسه في كل ضفة. وقد جرت العادة في حرستا بتسمية كل مجرى مائي مكشوف بنهر إذا كان كبيراً وبساقية إذا كان صغيراً. وكل مجرى مائي يجري تحت سطح الأرض فهو قناية (قناة).

القيراط : إنَّ فكرة القيراط كوحدة قياسية لا تحمل المعنى نفسه في كل بلاد الغوطة، فهو يعبّر أحياناً عن حجم المياه. فتورا مثلاً 14 قيراطاً من بردى، أو يأخذ 14/ 24 قيراطاً من تصريفه. وقد يعبِّر أحياناً عن الوقت، وربما يعبّر عن وقت يتغيَّر من سنة لأخرى حسب السنين الجافة أو الماطرة. وفي البلدة يحافظ القيراط على قيمته، فهو يعني مثلاً نصف ساعة من الماء لكل فدان كمقياس للسطح، وأحياناً يقدر بدقيقتين ونصف.

تقسيم الحصص المائية:

لا تتحدد كمية المياه العائدة إلى الحقوق العامة أو الخاصة بعدد معين من الأمتار المكعبة أو عدد من الليترات في الثانية، إنما تتحدد بحصة نسبية من كمية المياه الجارية في القناة عند نقطة معينة. ويرجع ذلك إلى منسوب المياه في الأنهار والأقنية الذي يتغيَّر من فصل إلى آخر، ومن سنة إلى أخرى، مما يجعل من المستحيل توزيع المياه على أساس التصريف في وحدة الزمن، وبذلك تصبح النسب خير وسيلة لتوزيع المياه بين أصحابها.

قانون العرف والعادة:

إن قانون العرف والعادة المرتبط بالري في بلدة حرستا يشكل أحد العوامل الأساسية في حياة الفلاحين، فهو يمثل قوة تفرض نفسها بشكل لا يقبل التغيير والتبديل

---

(1) وتسمى منطقة في حرستا بأرض (النفلة)، وذلك نسبةً إلى النفل في قاع نهر العلّيتة.

فرغبة كل فرد في الحصول على حقه وخوفه من اغتصاب هذا الحق من قبل جاره، مما يرسِّخ ويُقوِّي مكانة العرف لدى الفلاحين الحرستانيين باستمرار. وهذه الحقوق المتعارف عليها في الري منذ أجيال ترضي الجميع، ولا يفكر الناس في تبديلها أو تغييرها ويدافعون عنها بكل قوة وإصرار.

إن بقاء العرف في الوقت الحاضر، وفقدان أي مسعى لتطوير شبكة الري أو إصلاحها منذ قرون عديدة، قد يبرِّر تمسك الفلاحين بالقديم حينما يعالجون المشاكل التي تتصل بالمياه. وتتبّع العرف خلال الأجيال السابقة يفتقد إلى المصادر الكافية.

أما عن الفترة المعاصرة فالمخططات والوثائق تكون محفوظة غالباً لدى بعض الأفراد في البلدة. ولم نجد مصدراً يُعَرِّفنا بوجود نظام آخر غير النظام الحالي لتوزيع المياه في حرستا منذ الحكم العثماني لبلادنا. فمخطط الفروع الرئيسية لم تتغير والمقاسم لم تتبدل، فهو في الواقع نظام عريق في قِدمه. ويعتقد أن الوضع الحالي لهذا النظام ـ مع بعض التعديلات ـ هو نفسه في القرن السادس عشر وربما كان هذا الوضع بذاته يعود إلى أقدم من ذلك بكثير.

أثر العرف في توزيع المياه:

تقوم نظم الري في البلدة على أصول العرف والعادة، وهي لا تستند إلى قانون أو مستندات مكتوبة تبيِّن حقوق الأفراد في مياه الري. وإذا وجدت بعض الحجج فهي حديثة كتبت على أثر نزاع رفع إلى القضاء وأصدر حكمه فيه.

فنظم الري القائمة منذ مئات السنين تستند في توزيع مياهها وفق عرف وتقاليد يحفظهما الناس ويتناقلونها جيلاً بعد جيل. ويقوم القاضي بالفصل في المنازعات حول الماء، وكثيراً ما يعتمد على العرف والتقاليد، فيستدعي من أجل ذلك شيوخ البلدة والمخاتير كخبراء في حل النزاع، وغالباً ما تنتهي هذه الخصومات داخل البلدة، فلا يلجأ الفلاح إلى قاضي الصلح أو مدير المنطقة إلاَّ نادراً. وهذه المنازعات تتكرر دائماً، فقد تقع بين شخصين، أو بين شخص وقرية، أو بين قريتين في بعض الأحيان، ففي الحالة الأولى يدور النزاع حول مناوبة الري. ويقع الخلاف بين الجارين حين يحوِّل أحدهما مياه جاره، ويحلّ الخلاف عادةً في مجلس يتألف من شيوخ البلدة ووجهائها برئاسة المختار يحكم بين

المختلفين، فيكتفي أحياناً بتوبيخ المعتدي، وأحياناً بقدر الخسارة الناتجة. ولكن تقدير هذه الخسارة أمر عسير، والحل كثيراً ما لا يرضي الطرفين. وتكثر هذه الخصومات كلما كان نصيب الفلاح من المياه قليلاً وأراضيه واسعة، أو كان توزيع المياه حسب العرف والعادة غير عادل. أما المنازعات بين الفرد والقرية فيحدث عادة نتيجة شراء حصص من المياه يسعى فيها المشتري أن يتجاوز حقه باتفاق غير شرعي مع الشاوي[1] الذي يقوم بمراقبة المياه. وقد تأخذ الخصومة بين القرى أحياناً شكل الحرب الأهلية كما حدث ذلك في عدان الدبس سنة 1933م بين أهالي قرى الغوطة. وقبل أن تنظم الحكومة العثمانية محاكم الصلح التي تبت في منازعات المياه، كانت المحاكم الشرعية هي التي تقوم بالفصل في هذه الخصومات الخطيرة.

كيفية توزيع المياه:

تؤخذ المياه من النهر إلى أراضي الفلاحين بواسطة موزعات مائية، ويطلق على الموزع في حرستا اسم (فَرْشْ)، ويكون عادةً مقسوماً إلى ثلاثة أقسام بينها حواجز حجرية، وكذلك يكون موزع صغير بقدر ثلث الموزع النهري يذهب إلى أراضي الفلاحين. وقد كانت هذه الموزعات قديماً تغلق بواسطة الحجارة والطين. أما الآن فأصبحت تغلق بواسطة أبواب حديدية تغلق وتفتح حسب الحاجة، وبين مسافة وأخرى يوجد موزع نهري (فرش) وتكثر هذه الموزعات بصورة خاصة في نهر الحرستاني، بينما هي قليلة في نهري يزيد والدومي.

المنازعات على الماء:

إن توزيع المياه في هذه الشبكة المائية لا يستند إلى أي قانون أو مستندات مكتوبة تبيِّن حقوق الأفراد في مياه الري، وإذا وجدت بعض الحجج فتلك التي كتبت حديثاً على أثر نزاع بين الفلاحين حلَّ بواسطة قاضٍ أو حاكم أو مشرع. وقد أصبحت المستندات العقارية تحرص على ذكر ما لكل أرض من حقوق في العدانات المختلفة. إن الري في بلدة حرستا

---

(1) الشاوي: هو شخص يؤمِّن مراقبة الأقنية والمزازات، ويقوم بفتح المواصي وإغلاقها ويمنع أعمال السرقة من مياه النهر، ويستعمل الشاوي منجلاً ذا عصا طويلة تنتهي بشعبتين ويتلقى الشواة أوامرهم من المختار وكانوا في السنوات الجافة يزداد حذرهم لإيصال المياه إلى أصحابها.

يؤيد التنظيم المحكم الذي سَنَّهُ أجدادنا القدماء، كما أنه يُظهر عظمة قضية الماء في هذه البقعة من سوريا. كما ويؤيد التضامن العميق الذي يجعل من فلاحي حرستا وأمثالهم من أهل الغوطة كلاً تاماً منسجماً فالجفاف الصَّيفي الطويل يسيطر على الإنسان هنا وإذا لم يستثمر الماء وينظمه بقي في حالة البداوة. فتنظيم الماء وتوزيعه يصلح الطبيعة ويسمح بإمكان حياة زراعية، وبالتالي حياة مدنية مستقرة.

ورغم هذه الشبكة المائية المنظمة، وكثرة الأنهار والجداول والتفرعات التي توهم لأول مرة بزيادة الماء عن كفاية السكان، ولكن الواقع يدل عكس ذلك، إذ أن المياه لا تكفي الأرض أبداً وتصبح مجاري الأنهار السفلى جافة في فصل الصيف وخاصةً في نهايته، ولا تصل المياه إلى الأرض الشمالية مطلقاً مما يجعل الأهالي يهملون زراعة تلك الأراضي. وكثيراً ما كان أهل حرستا يتركونها بوراً خوفاً من قلة المياه، حيث يصبح سعر ساعة الماء الواحدة بالفرقة 10 ليرات وذلك في حدود الخمسينات من القرن الماضي، وقد تصل إلى 20 ليرة وربما لا توجد. لذلك عمد بعض أهل البلدة إلى تركيب الموتورات التي تعمل على الوقود وحفر الآبار، وكثرت هذه الموتورات في شمال البلدة بأرض المزرعة وفي أرض بسطرا. وبينما تعاني حرستا قلة الماء في نهاية فصل الصيف، فتقل بذلك المزروعات ونجد قسماً كبيراً من مياه الأنهار كان يضيع سدى في أراضي الصالحية حيث لا قيمة للماء هناك، ويمكن للفلاح أن يروي مزروعاته في الساعة التي يريدها وبغير حساب، وكثيراً ما يتركها تذهب هدراً، وهذا التبذير في الماء يعدو في بعض أسبابه إلى بقايا مآثر الإقطاعية التي اغتصبت في فترة من فترات الإنحطاط أكثر الأراضي الجيدة، وأكثر المياه من أصحابها الشرعيين.

كَرْيُ الأنهار (تنظيفها):

تُعزَّل الأنهار عادةً في كل عام، وتحوَّل المياه أثناء الكري إلى نهر بردى، ويبدأ العمل عادةً في 27 شباط وتدوم العملية من 20 ـ 25 يوماً وقد اختير هذا الوقت بالتحديد لأن الأرض في هذه الفترة لا تحتاج إلى ماء بصورة عامة، ويصيب العمل كل فلاح بقدر ما يملك من الماء والأرض. ويقوم أهل حرستا بتعزيل الأنهار الخاصة بهم ثم يشتركون مع القرى الأخرى لكري الأنهار العامة، مثل يزيد حيث يشتركون مع أهل القابون

والصالحية، وكذلك نهر ثورا حيث يشترك أهل حرستا مع دومة ومسرابا ومديرة وعربيل وجوبر وغيرها. أما الوسيلة في كري الأنهار فهي اليد العاملة وهي وحدها القادرة على ذلك، ولا يمكن استبدال عمل الإنسان بأي نوع آلي لأسباب منها:

1 ـ لأن المجرى يضيق تارةً ويتسع تارةً أخرى مما يصعب معه العمل الآلي.

2 ـ لأن المجرى تعترضه جذور الأشجار التي تنمو بصورة دائمة على الضفاف كالحور والصفصاف والجوز وهذه الجذور تعرقل لا شك العمل الآلي وتمنعه.

3 ـ لأن هناك كثيراً من الجسور والقناطر المقامة على المجرى.

وعلى هذا فاليد العاملة هي وحدها التي تعمل بالمنكاش والمجرفة والرفش والمعول. ولكي يجري قطع النهر بصورة تامة وسريعة، تستخدم الحواليل التي تقوم بمهمة تصريف المياه إلى الوادي الرئيسي، بالإضافة إلى أنها تغسل النهر وتفرغ جزءاً كبيراً من رواسبه، ولذلك تدعى (بحواليل الغسل). ونهر يزيد يساعدنا على فهم كيفية تقسيم أعباء التنظيف. فالمعروف أن هذه القناة تقسم إلى أربعة أقسام بين الشركسية وأبو جرش بالصالحية، والقابون وحرستا، فمن رأس القناة القريبة من الهامة حتى الربوة تتعهَّد كل مجموعة من هذه المجموعات الأربع ربع المجرى الجبلي، ومن الربوة حتى القابون يتم العمل مناصفة بين أهل القابون وحرستا، وتتعهَّد حرستا تأمين حالة المجرى بشكل جيد من القابون حتى أراضيها. أما توزيع نفقات التنظيف والصيانة في نهر تورا فيجري بالطريقة التالية:

3 قراريط: بساتين جوبر

4 قراريط: بساتين حرستا

5 قراريط: بساتين دومة

مراقبة المياه:

لا يتورع الكثير من أصحاب الحقوق عن طلب المزيد من المياه بغير حق، وكثيراً ما يخالف أصحاب البساتين الأوقات المخصَّصة للسقاية رغم معرفتهم أنهم يسلبون حقوق غيرهم، فيثيرون الخلافات مع مراقبي المياه (الشواة)[1].

(1) الشُّواةُ: مفردها (شاوي)، وهو مراقب المياه، وقد مرَّ تعريفه.

عدان بسطرا:

يبدأ بعد طلوع الشمس بساعتين من يوم الثلاثاء إلى يوم الأربعاء، ومن يوم الأربعاء إلى صباح الخميس عند آذان الفجر.

أما البجْلِيَّة: فتبدأ يوم الجمعة عند آذان الفجر وحتى يوم السبت عند آذان العصر.

وأما الصُّبْحَة: وهي يوم الثلاثاء من عدان عدرا، وتبدأ من آذان الفجر، وحتى طلوع الشمس بساعتين، ثم يقوم الفلاحون بتجميع المياه.

لمحة عامة عن فتوحات نهر ثورا:

هناك ثلاث فتوحات لهذا النهر وهي: الجبِّية والخَرْقُ والسَّيْلول.

فالجبية: تفتح من صباح الأحد من عدانَ دومة وحرستا، وتسدّ يوم الثلاثاء بعد الفجر بخمس ساعات.

والخرق: يفتح صباح الجمعة من عدان دومة وحرستا، ويسدّ صباح الأحد. ويدور بالفتوحات مع دوران الأيام بالعدان أربع وعشرون ساعة، ويسدّ يوم الثلاثاء بعد الفجر بخمس ساعات.

أما السيلول: يفتح يوم الجمعة عند آذان الظهر، وحتى يوم الثلاثاء، ويسدّ بعد طلوع الفجر بخمس ساعات.

وحق حرستا من هذا النهر ثلاثة أبواب مع إغلاق أبواب عربيل عدد /2/ وهي ليلة الثلاثاء والأربعاء وليلة الخميس عند شَقٍّ (ظهور) الضوء.

حساب عدد قراريط ماء نهر ثورا ويزيد لبلدة حرستا:

4225 قيراطاً خراجياً حرستانياً، وكل ربع فرقة تساوي 66 قيراطاً خراجياً.

8830 قيراطاً سلطانياً حرستانياً، وكل ربع فرقة تساوي 138 قيراطاً سلطانياً.

1200 قيراط خراجي علّيتة، وكل ربع فرقة تساوي 25 قيراطاً خراجياً علّيتياً.

1133 قيراطاً ماء الخمس، وكل ربع فرقة تساوي 70 قيراطاً ماء الخمس.

1200 قيراط ماء بسطرا، وكل ربع فرقة تساوي 75 قيراطاً ماء بسطرا.

978 قيراطاً ماء مزّاز التينة، وكل ربع فرقة تساوي 61 قيراطاً ماء مزّاز التينة.

975 قيراطاً ماء ملْكة، وكل ربع فرقة تساوي 61 قيراطاً ماء ملْكة.
300 قيراط ماء البرادعية، و51 قيراطاً ماء الدنكزي.
8064 قيراطاً ماء نهر يزيد، وكل ربع فرقة تساوي 126 قيراطاً ماء نهر يزيد.

صورة موجزة عن سبيلية عدان الدبس:

سبيلية الدبس هي من حق الخراجي فقط، وتبتدئ من صباح يوم الأربعاء بانتهاء عدان عربيل، وبجلية مسرابا، فيكون حق كل ربع من الأرباع الأربعة التابعة لحرستا ست وثلاثون ساعة لا غير، ويكون الانتهاء صباح يوم الثلاثاء.

البسطة: هي انتهاء عدان الدبس، وتبتدئ من فجر الثلاثاء بأرض (الخشبة)، وعند طلوع الشمس بأرض (التعلة). فيكون حق العلّيتة من صباح الثلاثاء وحتى صباح الأربعاء ثلث ماء الخشبة فيكون أربع وعشرون ساعة لا غير، وحق كل فرقة من الفرق الستة أربع ساعات. وحق نهر الحرستاني من صباح الثلاثاء وحتى صباح الخميس، ويكون لكل ربع من الأربعة أرباع ستون ساعة بالفُرق الأربعة. والربع الثاني له ثلاث عشر ساعة، منهم تسعة من ماء الحرستاني وأربعة من الحرستاني والعلّيتة معاً. وعند ذلك تصبح مدة المياه خمس عشر ساعة أيضاً. وذلك لأن الماء من صباح يوم الأربعاء يكون حق للحرستاني حسب العادة والعرف. ثم يأتي الربع الثالث وحقه عشر ساعات من الحرستاني والعلّيتة فيصبح أيضاً خمس عشر ساعة. أما الربع الرابع فله عشر ساعات من الحرستاني والعلّيتة، ويصبح خمس عشر ساعة لا غير.

مناوبة الري (العدان):

إن كل فلاح حرستاني يعرف حقَّه (نصيبه) من المياه وحقوق جيرانه من أهل بلدته وقد يسجِّل بعض الفلاحين هذه الحقوق في دفاتر مذكراتهم.

ويتبع الفلاحون التوقيت العربي، كما يتبعون أحياناً في تقسيمهم الزمني أوقات الصلوات الخمس، فيكون المزّاز مثلاً مفتوحاً من أول صلاة الفجر حتى صلاة العصر، والآخر من الظهر حتى المغرب. فمثلاً قرية مسرابا ليس لها قناة دائمة الجريان فهي تروي أراضيها دفعة واحدة خلال 24 ساعة من اليوم الخامس عشر، وهذا ما يدعى (بعدان

مسرابا). أما حرستا فهي تملك قناة تجري فيها المياه باستمرار، فيكون التوزيع فيها بحسب نظام دوري لأقسام أراضيها المختلفة. وعندما لا يكون الفلاح الحرستاني بحاجة إلى سقاية حقوله حين جني المحصول، أو حصاد القمح فإنه يترك حقه إلى الفلاح الذي يقوم بزراعة محصول آخر بشرط المبادلة. فالفلاح الحرستاني يسعى دائماً لتأمين المياه لجميع الحالات، فهو يبدل ويستأجر ساعات الماء في العدانات المختلفة مما يسبب تعقيداً ظاهراً في تقسيم شبكات المياه.

الري في حرستا بشكل عام:

تُسقى أرض حرستا كما تحدَّثنا من قبل، من فروع نهر بردى وهم فرعان:

الفرع الأول: نهر يزيد الذي يسقي أراضي الصالحية والقابون وحرستا التي لها القسم الأكبر من هذا النهر وهو يوم: الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء من كل أسبوع. وكل يوم يقسم إلى أربع فِرق، اثنتان منها لأهل منطقة الجدار والخميس والجديدة. واثنتان لأهل الشمال وهم العوينة والسعدية، ويقسموا إلى أربعة أرباع، كل ربع أربع وعشرون ساعة.

فالنصف الأول يكون بالنهار، والثاني في الليل. والدور الثاني يعود فينقلب أهل الليل يصبحوا بالنهار، وأهل النهار يصبحوا ليلاً. وأكبر العائلات في أرض الجدار والخميس والجديدة هم: شلة، عفوف، حمزة، نعمان، المدني، البرهمجي. وأما الباقي فهو لعائلات صغيرة في البلدة. وأما أهل منطقة الشمال(العوينة والسعدية) فأكبر الحصص لعائلة شلة وحمزة وقاسم والضوبع والأخرس والتلّي.

أما النهر الثاني فهو نهر ثورا: يروي هذا النهر ثلاث أرباع أراضي حرستا ويسقي أراضي بلدة جوبر وزملكا وحرستا وعربيل ومديرة ومسرابا ودومة ويقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: عند بلدة جوبر، وهو باب الثلث، ويسقي جوبر وزملكا وحزَّة.

أما الثلثان الآخران فيقسمان إلى ثلاثة أقسام وهي:

القسم الأول: عربيل ومديرة ومسرابا.

القسم الثاني: حرستا

القسم الثالث: دومة

أما قسم بلدة حرستا فيبتدئ من مقسم الخشبة الذي يفصل بين نهر حرستا ودومة. ونهر حرستا الذي يدخل أراضيها يقسم إلى قسمين عند مفرق الجِسْرين هما: الحرستاني والعلّيتة.

ويبتدئ حساب المياه من أول فصل الربيع الذي يكون في 23 آذار من كل عام، وهو أول (عدان الربيع) ويكون حق نهر العلّيتة والحرستاني.

العلّيتة: يبدأ ماؤها من مقسم منطقة الجسرين ويكون حقها بالربيع 72 ساعة وتقسم إلى ستة أقسام، وكل قسم 12 ساعة من صباح يوم الخميس وتنتهي صباح يوم الأحد، وأشهر أصحاب هذه الأقسام يعود إلى شركة السلّ وهي أرض ورثة محمد سعيد الباقوري (الباشا) والقسم الثاني لوزارة الأوقاف الإسلامية وهو أيضاً من ورثة الباقوري. وأما الباقي فهو لفلاحين ومزارعين بلدة حرستا وأشهرهم عائلة: بكيرة، حسون، خرزوم، الحاج حمّود، السبيعي.

أما الحرستاني: فهو يقسم إلى أقسام معقدة وصعبة جداً، وهي أربعة أرباع، لعائلة: بكيرة، البرهمجي، خرزوم، الباقوري.

وهذه الأرباع لها حصة بالربيع، ولكل ربع 22 ساعة ونصف للأرباع الأولى من الأسبوع، والربع الثاني 21 ساعة.

وأما بالصيف: فيكون حصة الربع الأول 24 ساعة، والربع الثاني 21 ساعة لا غير. والعلّيتة بالربيع يكون 12 ساعة لكل فرقة، وبالصيف 24 ساعة لا غير.

البجلية: وهي من عدان عربيل، وتكون بفتح ثلثي مقسم الخشبة إلى حرستا، ويعود ملكها إلى أصحاب مياه السلطاني، ولكل ربع 24 ساعة تبدأ من آذان العصر إلى عصر اليوم الثاني ما عدا يوم الجمعة، وهي ست وثلاثون ساعة. وفي يوم الثلاثاء تكون 19 ساعة، لأنها تفتح الخشبة بكاملها وهي خمس ساعات من طلوع الفجر.

السبيليَّة: وهي لأصحاب مياه السلطاني ما عدا سبيلية الدبس فهي لأصحاب الماء الخراجي.

وكذلك يوجد حق لبلدة حرستا بنهر دومة عند انتهاء ماء دومة وهو صباح يوم الثلاثاء من عدانهم. ويقسم إلى خمسة أقسام، ولكل قسم يدعى (فتاح):

الأول: فتاح البرادعية، وأشهر أصحابه عائلة العربينية في حرستا، والشيخ طه أبو الورد في بلدة عربيل.

الثاني: فتاح ملْكة، وأشهر أصحابه عائلة العربينية أيضاً، ووزارة الدفاع.

الثالث: مزّاز التينة، وأشهر أصحابه عائلة العظمة، وعائلة العربينية.

الرابع: فتاح الخمس، وأشهر أصحابه عائلة النِّمر والعربينية والعظمة والشايطة وعبد الواحد.

الخامس: فتاح بسطرا، وأشهر أصحابه من عائلة محفوض وهم: محفوض بن عبد المجيد محفوض وهو أكثرهم حصة من هذا الفتاح، ومصطفى بن عبدالله محفوض، وباقي أفراد العائلة، وآل زيتون، وسليمان، والشايطة، وطقطق.

وهذه الفتاحات حقهم الرسمي هو (العدان) الذي يبدأ من يوم الثلاثاء والأربعاء، أي في آخر عدان دومة. ولهم حق في عدان عربيل لأهل الخمس وبسطرا ويقال له بجلية، ولأهل بسطرا حق لهم في عدان دومة، ويقال له فتاح داريا الصغرى.

مصير الشبكة المائية في حرستا:

إن كمية الأمطار في سورية الداخلية قليلة بصورة عامة لا تكفي لقيام الزراعة، ولهذا كانت المياه منذ أقدم الأزمنة ذات شأن عظيم في حياة الإنسان وتوزع السكان، فحيث وجدت وجد الخصب وتكاثر السكان واستقر على أرضه، وحيث فقدت عمَّ الفقر وقلَّ السكان وأصبح الإنسان متنقلاً بدوياً. لذلك فالماء أساسي لابدَّ منه في هذه المناطق، حتى أن الأرض تصبح لا قيمة لها في المناطق التي تقلُّ فيها المياه وتصبح الملكية للماء.

وهذا هو الحال بالنسبة إلى حرستا من حيث قلّة الأمطار التي لا يمكن أن تقوم عليها الزراعة، وإضافة إلى ذلك فإن التربة في حرستا منفذة لا تسمح بظهور الينابيع على الأرض بشكل حر، فكان اعتماد حرستا في الري على فروع بردى وهما نهري يزيد وتورا.

أما في هذه الأيام فقد قلَّ النظر إلى أهمية المياه والري في البلدة لأن أكثر أراضيها التي يعود ملكها لعائلات حرستانية كبيرة قد قُسِّمت بين الورثة ومنهم من باع نصيبه، واتساع المخطط التنظيمي للبلدة، وطمر الكثير من أنهارها وسواقيها والتفات أبناءها إلى أعمال تجارية أخرى. وناهيك عن ذلك كله ما دخل إلى الأراضي الزراعية للبلدة من مشاريع مدنية كالمعامل والبيوت، وتوسيع الطرقات والممرات بين الحقول وبشكل عشوائي، وكان أكثر تضرراً تلك الأراضي القريبة إلى الطرق العامة، كل هذا سيجعل أرض حرستا الزراعية مع أنظمة الري فيها على طريق الزوال وبعد فترة قليلة من الزمن.

الفصل الثاني
الملكية الزراعية وأنواعها

كانت الزراعة في حرستا تعتبر الركيزة الأساسية من الناحية الاقتصادية قبل كل شيء. فالثروة الحقيقية هي الأرض، وجميع الجهود تبذل في سبيل تحسين شروط الزراعة، وزيادة الانتاج الزراعي.

فالفلاح الحرستاني قد ورث عن أجداده أساليب معينة للزراعة، ليس من السهل أن يحيد عنها أو يتخلص من قيودها، لأنها تمثل جزءاً من تراثه الحضاري القديم.

وترتبط طرق استغلال الأرض بحجم الملكية ارتباطاً وثيقاً، فأصحاب الملكيات الصغيرة غالباً ما يستثمرون أراضيهم بأنفسهم، وخاصة إذا كانوا من أبناء البلدة. أما أصحاب الملكيات الكبيرة فيلجؤون إلى طرق مختلفة لاستثمار أراضيهم، وخاصة إذا كانوا من أبناء المدينة.

إن الملكية الصغرى هي السائدة في بلدة حرستا بسبب امتلاك الأراضي وزراعتها منذ القدم، ونظام الميراث المتَّبع. فالأرض الكبرى تقتسم بين الورثة، وبها يقضى على نظام الملكية الكبرى. فقلما نجد فلاحين تزيد ملكيتهم عن ثمانية هكتارات، أو أنه لا يوجد ملكية بهذا الاتساع، كما أنه من النادر أن نجد عائلة لا تملك أرضاً.

وإضافة إلى هذه الملكية الصغيرة فإنه يوجد نوع من الملكية الكبرى تقريباً.

فعائلة آل اليوسف (الباشا) كانت تملك 17٪ من أرض حرستا لما كان لهذه العائلة من النفوذ والسيطرة وخاصة أثناء الحكم العثماني، وأيام الانتداب الفرنسي. فقد كان الباشا يوسِّع أرضه على حساب الفلاحين الذين تجاور أرضهم أرضه سواءً بالقوة أو بالشراء بأزهد الأثمان. ولكن هذه الملكية قد أكل عليها الدهر وشرب وذهبت مع أدراج الرياح، إذ قُسِّمت هذه الملكية بين الجيش والأوقاف[1] والورثة، وقسم كبير

---

(1) لقد كثرت الأوقاف الخيرية والأهلية بكثرة الظلم وشدة الاستبداد في العصور الماضية وذلك لتنجو أملاكهم من المصادرة. وقد قامت - فيما بعد - محاولات عديدة لإنقاذ هذه الأرض من نظام الوقف عن طريق الحيل الشرعية، وأخرجوها من ملك الوقف إلى الملك الخاص وكثرت هذه الحيل أيام العثمانيين. وقد أضرَّ الوقف كثيراً باستغلال الأرض وانتاجها حتى صدر قرار بإلغائه نهائياً سنة 1949م.

من الورثة قد باع نصيبه. وبذلك تخلّصت البلدة من هذه الملكية، إلاّ أن هناك ملكيات أخرى انتشرت في البلدة، وأكثر هذه الملكيات الناشئة هي لعائلات كبيرة من دمشق.

حدود الأرض:

يفصل عادةً بين أراضي الفلاحين بواسطة حدود بسيطة من التراب مثبتة بواسطة أحجار بعيدة عن بعضها تعرف (بأحجار المساحة) وكثيراً ما تفصل السواقي والجداول المائية، والطرق، الأراضي الزراعية عن بعضها بعضاً.

وتقاس الأرض عادة في حرستا بالفدان أو القيراط. فالقيراط يساوي عشر قصبات، والقصبة تساوي 24 متراً مربعاً. والفدان يساوي 24 قيراطاً. وبهذا يكون الفدان 5760 متراً مربعاً تقريباً. ولكن الأرض الشمالية التي تسمى بالسلطاني فالقيراط فيها 5. 16 قصبة.

العوامل المساعدة للزراعة : هناك عوامل كثيرة تساعد على الزراعة في البلدة وهي:

1 ـ الملكية الصغرى: عندما تكون الأرض ملكاً للفلاح يعمل بنشاط، بينما يهمل الأرض عندما يكون مستخدماً أو يعمل لغيره. وبصورة عامة فإن الملكية الصغرى هي أكثر انتاجاً من الملكية الكبرى.

2 ـ خصوبة التربة: إن خصب تربة الغوطة بصورة عامة، وتربة حرستا بصورة خاصة جعلت الأرض صالحة للزراعة، فلقد أعمر الحرستانيون أرضهم منذ أقدم الأزمنة وقامت فيها الحضارة الزراعية التي تحتاج إلى حياة الاستقرار والطمأنينة، فبنيت حرستا التي هي قدم الواحة.

3 ـ وفرة المياه: وهي التي تأتي بها فروع بردى ومشتقاته، ولولا هذه المياه لانقلبت حرستا بقعة صحراوية يلتهمها الجفاف.

4 ـ مهارة الفلاح: الذي يعمل في الأرض منذ صغره مما أكسبه خبرة ومعرفة بالزراعة، إذ يعرف فلاح حرستا أي الأرض تصلح للزراعة، ولأي نوع من المزروعات.

استعمال البذور البلدية في الزراعة:

لا يزال أكثر الفلاحين في حرستا يفضّلون البذور التي تنتجها أرضهم ولا يقبلون إلاّ القليل من الأنواع الجيدة في السوق. وهذا التقليد له مبرراته في كثير من الأحيان، فهو

ليس من قبيل الصدفة والجهل، بل هو نتيجة جاءت بها تجارب القرون الغابرة، لأن هذه البذور والأنواع الأجنبية لا تعطي إنتاجاً حسناً، وإن أعطت فلمدة بسيطة لا تتجاوز ثلاث سنوات. ولكن بذور الخضراوات التي تنتجها البلدة فكثيراً ما تبقى ملائمة ومتوسطة الإنتاج بصورة عامة. وقد حرص الفلاح الحرستاني على تموين الكثير من البذور، ومن أهمها بذور الباميا والبياء البلدية، وبذور الفصّة والبندورة وناهيك عن بذور القثّاء (القتة) التي لا مثيل لها في البلاد.

أثر الري في المحاصيل الزراعية:

لقد كان لمناخ حرستا شبه الجاف أكبر الأثر في اختيار الزراعات الملائمة، مما جعل الفلاح الحرستاني يحسب للري حسابه، وعلى ضوء ذلك يحدِّد نوع المحاصيل التي ينوي زراعتها مع تحديد مساحتها، ولا سيما الصيفية منها.

فدراسة توزيع المحاصيل الزراعية ومناوبات الري في حرستا تظهر العلاقة الوثيقة بين الإنتاج والري، كما أنَّ تنوّع المحاصيل الزراعية فيها يعتبر من أبرز مظاهر الحياة الزراعية فيها.

فزراعة الخضرواوات وأشجار الفاكهة يتطلَّب جهداً كبيراً وعملاً متواصلاً، والفلاح هنا لا يدع الأرض تستريح ولا يمكنه أن يتصور أرضه دون زراعة مدة شهرين متتابعين. ومثل هذا الاستثمار لا يمكن أن يكون إلاَّ في أرض غنيَّة، ولذا تُسمَّد هذه الأرض بإطلاق الأغنام والماعز فيها كيما ترعى فوقها بعض الوقت، كما ينقل إليها الكثير من روث الحيوانات التي يمتلكها.

استهلاك السَّماد البلدي الطبيعي:

وهو ما يعرف باسم «الزبل» أو «العمارة» الذي يجمعه الفلاح من فضلات حيواناته، وهو أقرب هذه الأسمدة إليه. ويتألف عادة من فضلات الحيوانات مخلوطة بالقش (التِّبن) وغيره، المستعمل كفراش لهذه الحيوانات. ومع مرور الزمن يحصل الفلاح على كمية من هذا الزبل الذي يجمعه على شكل (كومة)، ويختلف الحجم باختلاف عدد الحيوانات التي يملكها والكميات التي يجمعها من خارج أرضه ويغطِّيها بطبقة ترابية تساعد

على سرعة التخمير. ويختلف تركيب الزبل بحسب مصدره، والحيوانات التي أخرجته ونوع الفرشة التي يُستعمل تحتها، وكذلك حسب نسبة القش إلى الفضلات وتغذية الحيوانات نفسها والتخمرات الحاصلة وغيرها من العوامل الأخرى.

ومن المعروف أن روث الخيول والأغنام أشدّ تخمراً وأكثر جفافاً من روث البقر مثلاً. ولا شكَّ في أنَّ هذه الطريقة التي اعتاد عليها الفلاح الحرستاني في تحضير هذا السماد تفقده الكثير من قيمته وكفاءته الغذائية. وخير الأوقات لاستعمال السماد البلدي هو في الخريف والشتاء دائماً قبل وقوع الصقيع، وذلك لإعطائه الوقت الكافي للتحلّل.

والفلاح يفعل ذلك عن طريق الخبرة والتجربة، ويحرص على طمر السماد البلدي بفلاحة الأرض بعد نثره مباشرةً، وذلك لمنع فقدان عنصر الآزوت منه. كما يُفضِّل تخصيص السماد البلدي للمزروعات الصيفية لأنها تستفيد منه أكثر من المزروعات الشتوية إذا ما نثرت في الموعد المذكور سابقاً. ويقدر متوسط ما يوضع من السماد البلدي للدونم الواحد حوالي (3 طن)، وقد ترتفع هذه الكمية قليلاً في الأراضي الفقيرة. ويجري نثر السماد البلدي عادةً بوضعه في الحقل على شكل أكوام صغيرة متباعدة عن بعضها بعد أن ينقل على دابة بواسطة (السريجة) المصنوعة من الجلد ثم يفرش بأداة يدوية.

العوامل التي كانت تقف في وجه تقدم الزراعة في حرستا:

1 ـ فقر الفلاح، مما جعله لا يستطيع شراء الآلات الحديثة من حصَّادات ودرَّاسات ومحراث آلي.

2 ـ عدم خبرة الفلاح الخبرة الكافية في استخدام الأساليب الحديثة في الزراعة والتقليم والتطعيم[1]، ومع هذا فلا تزال العناية به عناية قليلة.

3 ـ عدم وجود خبراء موجهين يوجهون الفلاح ويرشدونه إلى طرق حديثة في الزراعة والعناية بالثمار وقطفها وغير ذلك.

4 ـ قلة المياه التي لا تكفي الأرض مما يؤدي إلى حدوث منازعات كثيرة.

---

(1) التطعيم: وهو وصل غصن شجرة بغيرها من الأشجار، ويكون بنقل برعم الغصن إلى الشجرة قبل أن تزهر. وكان في حرستا أشجار تحمل الواحدة منها أربع فواكه كالمشمش والخوخ والتفاح، ومنها ما يحمل الثلاث وأقلّهن اللونين من الفاكهة، وهذا من صنع الفلاحين.

5 ـ وجود المعامل الكثيرة التي شُيِّدت حديثاً والتي تلقي بفضلاتها في المياه مما يضر ضرراً بالغاً بالإنتاج وصحة الأشخاص .

6 ـ انصراف الفلاحين إلى العمل في الصناعة ، وخاصة في المعامل التي شيدت حديثاً لأنه يدر ربحاً أكبر مما تدره الزراعة .

الفصل الثالث
زراعة الأشجار والحبوب والخضراوات

يسود في حرستا نظام الزراعة الكثيفة، إذ يستفيد الفلاح من كل شبر من أرضه، فعلى الأطراف تزرع أشجار الجوز، وعلى طول المجاري المائية تزرع أشجار الحور والصفصاف والبَيْلسان[1]. بينما تنتشر فوق أراضي حرستا ـ بنظام أو بدون نظام ـ الأشجار المثمرة كافة وفيما بينها يعمد الفلاح إلى زراعة بعض المحاصيل الشتوية والصيفية.

زراعة الأشجار:

الزيتون: الزيتون شجرة مباركة، ويرجع انتشار شجره في حرستا إلى عهد بعيد جداً، حتى أنها تشتهر بها حرستا بصورة خاصة حتى أُطلق عليها اسم (حرستا الزيتون)[2]. ويُغطّي مساحات كبيرة من البلدة، ولا يخلو حقل من أشجاره، وهو من النوع المروي، ويبلغ عدد أشجاره في حرستا ما يقارب مئة ألف شجرة.

وشجرة الزيتون معمرة دائمة الخضرة. ولذلك أقبل الحرستانيون على زراعتها منذ القديم وأحاطوها بالعناية والرعاية لما تدرّه من محصول وفير. وله أنواع عديدة:

1 ـ الدَّان[3]: وهو الأكثر زراعةً، ومنه يستخرج الزيت، ويقطف أخضراً وأسوداً ويقطف بالعصا، وتجمعه الناس في أكياس تنقل إلى المعصرة.

2 ـ الجلط: ويعرف (بالجُلُبْط)، وهو من النوع الأسود الكبير، ويقطف باليد ويستعمل للأكل فقط، ولا يعصر منه الزيت أبداً.

3 ـ المصعبي: وهو أيضاً من النوع الكبير، وهو أخضر، ويستعمل للأكل فقط ولا يعصر منه الزيت.

---

(1) البَيْلسان: شجرة طبية تزيينية أزهارها كبيرة بيضاء، عطرية الرائحة، يستعمل في الأدوية ويزرع على ضفاف الأنهار والسواقي، وحول البيوت في الحقول.

(2) هكذا دعاها ابن طولون الصالحي الدمشقي في كتابه، (القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية: 1/ 369).

(3) نسبةً إلى مدينة (دانيةُ) بالأندلس، وهي بلدة كثيرة التين والعنب واللوز، وخرج منها شيخ القراء أبو عمرو عثمان بن سعيد الدّاني، صاحب التصانيف في القراءات والقرآن. معجم البلدان: (2/ 434).

ثم هناك التفاحي والصوري والماوي وهو قليل الانتشار في البلدة. وعندما يُنْقل الزيتون إلى المعصرة يجمع في حفر خاصة لكل فلاح حفرة تسمى (معلف) وبعد مدة يدرس الزيتون في مدرس خاص، ثم يعصر ويجمع الزيت في آبار خاصة حتى يُصفَّى، ثم ينقل إلى البيوت بواسطة (الضَّرْف)[1]. ويأخذ أصحاب المعاصر من عصر الزيتون زيتاً.

والزيتون في حرستا هو المورد الأول، وغنى الفلاح والعامل والمرأة، وموسمه موسم ربح. والأولاد في حرستا يفتِّشون عن الزيتون الضائع عن الفلاحين[2].

وأقدم أشجاره في المناطق الشرقية والجنوبية من البلدة كأرض الخمس والتعلة وبسطرا وداريا والصغرى.

ويظهر أثر التربة جلياً واضحاً في ارتفاع نسبة الأراضي المزروعة بأشجار الزيتون في البلدة، مما يساعد على وفرة المحصول وجودة طعمه، وارتفاع نسبة زيته كما هي الحال في أراضي حرستا وبرزة اللتين تنتجان معاً ما يقارب من ثلثي انتاج الغوطة (65٪)، ويعتبر الزيتون فيهما من أفضل أنواع الزيتون في الغوطة[3].

والزيتون في حرستا يحمل سنة ويمحل سنة أخرى، لأنَّ الحرستانيين اعتادوا أن يضربوه بالعصا فتقضي على الأغصان الفتية، وبذلك تتعرَّض الأشجار للحشرات والأمراض بسبب الجروح والكسور التي تحدث بها على أثر الضرب بالعصي[4]. وتقوم النساء بجمع حبَّاته بعد فَرْطه وتسمَّى هذه العملية (التبديد).

ويزرع الزيتون عادةً حسب خطوط مستقيمة تسمَّى الواحدة منها (شورة) والمسافة التي تفصل بين الغرسة والأخرى واحدة تقريباً وتسمَّى (باب زيتون) وتؤخذ الغرسات من مكان قلع أشجار الزيتون الكبيرة، حيث ينشأ مكانها قضبان على شكل دائري، وعندما

---

(1) الضرف: تحريف لكلمة (ظرف)، وهو مصنوع من الجلد، وكان عامل المعصرة يحمله على ظهره، وينقل به الزيت إلى أصحابه في بيوتهم.

(2) وتسمَّى عملية التفتيش هذه في حرستا (البعَارةُ) أو (البَعْوَرة)، وهي من (البَعْرُ): أي الفقر التَّام.

(3) الشائع أن أراضي حرستا تحتوي على أكثر بلاد الغوطة إنتاجاً. (غوطة دمشق، صفوح خير: ص 480).

(4) ذكر المؤرخون أن هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي، وكان بعيد النظر في الأمور الاقتصادية، وقف يوماً قريباً من حائط فيه زيتون له فسمع نفض الزيتون، فقال لرجل: انطلق إليهم فقل لهم: التقطوه ولا تنفضوه فتفقؤوا عيونه وتكسروا أغصانه. (غوطة دمشق، محمد كرد علي: ص 82).

تكبر تنقل إلى أماكن غرسها، حيث تعدُّ أماكن الغراس بتهيئة الحفر قبل موعد الغرس بمدة طويلة لتحصل على قدر كاف من التهوية والتشميس.

المشمش: اشتهرت حرستا بزراعة المشمش منذ القديم[1]، ولم تكتسب هذه الشهرة لسعة انتشاره فيها فحسب، بل لجودة ثمره ولذة طعمه وتعدّد أنواعه.

ويشكل المشمش مورد رزق لكثير من الفلاحين، وموسمه قصير الأجل بالنسبة لغيره من الأشجار المثمرة الأخرى. وينبغي قطف ثمره عند نضجه بصرف النظر عن حالة السوق من الارتفاع أو الهبوط. ولذا فقد لجأ أهل حرستا منذ القديم إلى حفظ المحصول الزائد عن الاستهلاك المحلِّي بطرق عديدة.

وتنمو شجرة المشمش في معظم أراضي البلدة، لأنها شجرة تقنع بالقليل من العناصر الغذائية في التربة، وتقل كثافة أشجاره في وسط الحقول وتلتجئ إلى أطرافها وأطراف السواقي، بينما السيادة فيها لأشجار الزيتون.

وللمشمش أهمية كبيرة ولكن لا تساوي أهمية الزيتون، ولا يدوم موسمه أكثر من شهر واحد. وتكثر أشجاره في جنوب البلدة وغربها وشرقها. وأكثر الأنواع الموجودة في حرستا النوع المسمَّى (الكلابي)، وهناك أنواع قليلة، مثل: العجمي، والبلدي، واللوزي، والتدمري، والحموي، والسنديانى. وأكثر هذه الأنواع كانت تباع ويصنع منها المربَّى.

أما المشمش الكلابي فهو الذي يصنع منه (قمر الدين) الذي كانت طريقة صنعه بدائية. إذ يجمع المشمش في وعاء خاص ذو ثقوب يُسمَّى (الغربال) وتضغط إما بواسطة قطعة حديدية أو بالأرجل فينزل العصير إلى (غربال) آخر ثقوبه أضيق من ثقوب الأول، وبعدها يؤخذ العصير ويمد على دفوف خشبية بعد أن تُدهن بالزيت البلدي ليسهل فصل (قمر الدين) عندما يجفُّ عن الدف.

---

(1) ذكر أحد كبار السن في البلدة أن شجر المشمش كان يغطِّي أراضي حرستا بكاملها، فكان صاحب قطعان الغنم أو الماعز يمر بقطيعه بوسط حارات وطرق البلدة فكان قطيعه يأكل المشمش فما إن يصل إلى شرقي البلدة حتى تكون ماشيته قد شبعت.

وتزرع بذور المشمش في زاوية الحقل وتسمى (دندانة) ثم تنقل الأغراس الجيدة إلى الحقول، وضفاف الأنهار والسواقي، وهذا النوع الشائع في حرستا. أما إذا أراد الفلاح الحصول على أنواع أخرى فيقوم بعملية التطعيم.

وكثير من الفلاحين في حرستا من يقوم بتضمين أشجار مشمشه، ويبدأ الضمان في شهر أيار، ولكنه لا يثبت حتى عيد الخضر أي في 6 أيار.

العنب : تعتبر أشجار العنب من الحاصلات الزراعية القديمة في البلدة. وكانت تنتشر على مساحات واسعة في الشمال، والشمال الشرقي من البلدة، وكلها تذهب للأكل دون العصر. ولم يوجد في حرستا إلاَّ معصرة واحدة للدبس وعصر الزبيب (العنب المجفَّف) والذي يكون من العنب الذي يضمنه أهل حرستا من قرى أخرى. ويعتبر العنب الزيني أفخر أصناف العنب في البلدة إذ لا يخلو بيت من بيوتها قديماً إلاَّ وفيه شجرة عنب تغطِّي أرض الدار.

وهناك أنواع أخرى في البلدة ولكنها قليلة ومحدودة، مثل: العنب الأحمر والحلواني والدربلي والأسود والديراني وعبَّاس باشا.

أما طريقة زراعة الكروم فبعضهم يغرسها بالقرب من الأشجار المثمرة كي تتسلَّق عليها، ومنهم من يغرسها لتتسلق على تعاريش فوق طرق البساتين أو ممراتها وتسمَّى (عريشة). وعند اقتراب نضج العنب تُقام في وسط الكروم أكواخ من جذوع الأشجار وأغصانها معلَّقة على أعمدة خشبية تسمَّى (بالمناطر)، حيث يقيم في كل منها شخص يسمَّى بالناطور، ويكلَّف بحراسة الكروم من السرقة.

الجوز : يحتل الجوز مكانة كبرى بين المحاصيل الشجرية من حيث زراعته، ولاتزرع أشجاره إلاَّ على ضفاف السواقي وأطراف الحقول وجوانب الطرق والممرات، وذلك لأنَّ ظلَّ شجرة الجوز يعيق نمو المحاصيل الزراعية التي تزرع تحت ظلال فروعه. ويفرح الفلاح عندما يرى أغصان أشجاره تمتد فوق أرض جاره وهو يأكل ثمارها.

فالجوز من الأشجار الكبيرة الحجم، قوية النمو وطويلة العمر، تضرب جذورها الوتدية إلى عمق بعيد في الأرض، وجذورها السطحية تمتد أفقياً إلى مسافة بعيدة عن محور الشجرة وربما شكَّل بعض جذورها في السواقي حاجزاً للماء تخرّ من فوقه فتعطي

صوتاً للماء كالشلاَّل. وأكثر ثماره تستهلك محلياً، وقسم منه يباع بعد أن يُقشَّر (يُفَلَّقُ) ويقطف الجوز بالقضبان الطويلة (المسَّاس) ضرباً على الثمرة، وتسمَّى عملية قطفه في حرستا (فرط الجوز). وبعد نقله إلى البيت يجمع على كوم واحد ويُغطَّى بورق الجوز ويُترك مدة يومين أو ثلاثة حتى يسهل فصل قشوره عن لبته، فتقوم النساء بتفليقه[1].

وإذا نظرت إلى حقول وبساتين البلدة فإنك تجد أنَّ أشجار الجوز الكبيرة قد يبست واقتُلعت وزال أثرها، وحتى أشجاره الصغيرة اصفَّر ورقها، وجفَّت أغصانها وهو على وشك الزوال إقتداءً بأشجار المشمش.

التِّين : شجر التين قديم العهد في حرستا، حتى سميت (حرستا التين)[2]، وكأنَّ أشجاره تبدو أكثر تلاؤماً مع هذه البيئة من الزيتون نفسه، فهي تنشأ في كل مكان وبدون أية عناية، ورغم ذلك فإن شجرة التين لا تحتل سوى مكانة ثانوية في أشجار البلدة.

وأهم أنواعه في حرستا: الماثوني والسِّوادي والحبشي والخضيري والسلطاني. ولكن أشجار الماثوني تحتل المكانة الأولى لجمال ثمرته وحلاوة طعمه. وأكثر أشجار التين تنبت لوحدها من كثرة تساقط ثمرته على الأرض وفي السواقي. وربما يؤخذ من جذوع الأشجار التي ينبت حولها الكثير من الفسائل والغرسات والتي تسمَّى في البلدة (الخلْف).

الرمَّان : وهي ثلاثة أنواع، الحامض العادي ويعتبر من أشهر أنواعها، وأكثرها انتشاراً وهو الذي يستعمل للمونة حيث أن ثماره تمتاز بقابليتها للتخزين. وهناك الحلوة وهي قليلة، ثم الأسود شديد الحموضة وقد انقرض من البلدة تقريباً. وكثيراً ما كان الرمان يزرع على جوانب الطرقات والسواقي، ونادراً ما يخلو بيت في البلدة من أشجاره، ويزرع عادةً على شكل سياج يحيط بالبساتين.

---

(1) كانت بساتين حرستا في موسم قطف الجوز تمتلئ مع سواقيها بورق الجوز المتساقط من عملية (الفرط)، حتى أنَّ رائحة قشوره تبدو للمتجول في الحقول وتستمر حتى تساقط الأمطار وإذا نظرنا إلى أيدي الحرستانيين في موسم قطف الجوز نراها وكأنَّها قد تخنَّت بحنَّة سوداء تستمر على أكفِّهم أكثر من شهر.

(2) ذيل تاريخ دمشق، أبي يعلى القَلاَنسي: ص 272.

وهناك أشجار في البلدة قليلة الأهمية كالسفرجل، وأهمها البلدي، والفلاح الحرستاني نادراً ما يُخصِّصُ لها جزءاً من أرضه.

وهناك التفاح النبطي الذي انقرض من البلدة بشكل تام. وقد اشتهرت به حرستا قديماً ونُسبَ إليها[1].

الأشجار غير المثمرة: يوجد في حرستا أنواع متعدِّدة للأشجار غير المثمرة، إذ يعتبر الحور أهمها على الإطلاق، فهو أكثرها ربحاً وأوسعها انتشاراً. ويزرع أحياناً على شكل غابات صغيرة تدعى (بالغيضات)، أو يزرع على طول المجاري المائية، وعلى جوانب الطرقات والممرات، ويفصل أحياناً بين الحقول والبساتين. ويستعمل خشب الحور للبناء وخاصة السقوف. فكانت أشجار الحور تُضفي على البلدة منظراً بهياً فاتناً مع تلطيف للجو صيفاً. وقد استهلكت معظم هذه الأشجار خلال الحرب العالمية الأولى، حينما استعملت وقوداً للقطارات. والحور كان يمثل إحدى المواد الأساسية في البناء، والذي تبدو معالمه في كل منزل ومسجد مبني على الطراز القديم.

وزراعة الحور من الزراعات الهامة التي تدر ربحاً وفيراً على صاحبها دون أن تكلِّفه عناءً كبيراً. وله في البلدة نوعان هما: الحور الرومي، والحور الحموي. فالرومي أكثر انتشاراً فهو يتميز بنموه المستقيم. ويزرع بقطع أغصانه وتسمَّى (شفاية)، ثم تجعل حزماً وتوضع في برك الماء لأيام قليلة ثم تغرس الأغصان في بطون الأنهار والجداول المعدَّة لزراعتها. ويستفاد من أغصانها في فصل الصيف لبناء البيوت المؤقتة (الخم) الذي يُبنى بجانب المزروعات.

ومن الأشجار غير المثمرة، شجر الصفصاف، الذي لا تظهر إلاَّ على السواقي وعلى جوانب الطرق العامة وقرب المنازل، فهو يلطِّف الجو صيفاً، وقلما نجد من الفلاح أية عناية أو رعاية لها، لأن أخشابها لا تصلح إلاَّ للوقود، وتميل جذوعه وأغصانه على الأنهار والطرقات، وتتدلَّى فروعه على جانبيها، فتشكل فوقها قناطر خضراء كثيفة[2].

---

(1) قال أبو المحاسن الحلبي: ويُنسب إليها - أي حرستا - التفاح النبطي. (ضرب الحوطة على جميع الغوطة).

(2) كان الأولاد في حرستا يمسكون طائر (الزيز) ذو الجبهة الحمراء الذي كان يعيش على أغصان الصفصاف فيربطون أحد أرجله بخيط ويطيِّرونه وهم ممسكون بالخيط.

زراعة الحبوب:

القمح : يأتي القمح في مقدمة الحبوب الغذائية، وفلاح حرستا لا يعتمد عليه كغلّة تجارية، بل لاستهلاكه خلال السنة. وله أنواع عديدة، منها: الحوراني والبياضي والطلياني وعين غرَّة. فالحوراني أجودها وأقدمها وأكثرها انتشاراً فهو يمتاز بجودة دقيقه ووفرة محصوله، وقلَّة نخالته، وغناه بالغلوتين. أما البياضي فيكثر استخدامه في صناعة البرغل والنشاء.

زراعة القمح: يزرع القمح بعد تهيئة الأرض، والتهيئة تكون على مرحلتين:

1 ـ العفير: وهو أن تحرث الأرض ويبذر القمح، ثم يُقسَّم إلى مساكب لتسهيل السقاية ثم (تُجْفَنُ)[1] بغية تكسير الكتل الكبيرة (الكَدَرْ) ثم تُسقى المساكب وتترك الأرض المزروعة بعدئذ.

2 ـ السقّي: يسقي الفلاح الأرض كلها وهذا ما يسمَّى (الطِّياف) ويترك الأرض لتجف ثم يحرسها ويزرعها ويتركها. وهذه الطريقة لا تحتاج إلى سقاية بعد البذار.

البذار: وهو أن يحمل الفلاح وعاءً يضع فيه القمح ويسير في الأرض حسب خطوط مستقيمة ومتوازية يأخذ بيده اليمنى القمح من الوعاء ويبذره.

حصاد القمح: تبدأ سنابل القمح بالظهور منذ شهر نيسان، وفي أوائل أيار يأخذ القمح بالجفاف، وما أن يأتي شهر حزيران حتى يكون القمح قد احتاج للحصاد فيأخذ الفلاح المناجل الكبيرة التي تسمَّى (طارة) ويبتدئ بالحصاد بعد الفجر ويجمع القمح على شكل أكوام تسمَّى (جرار)، وبعد الانتهاء من عملية الحصاد تبتدئ عملية (الرجاد).

الرجاد: وهي عملية نقل القمح إلى البيدر[2]. ويتم النقل بواسطة حيوانات النقل الخيل والحمير. وتجمع أكوام القمح وإمَّا أن تُربط بالحبال فقط وإمَّا أنْ تُوضَع على سُلُّم خشبي صغير يسمَّى (الشَحْر)[3].

---

(1) أي يمرَّر على المساكب حصان أو حمار يجر خشبة غليظة تسمى (الجافونة)، وربما يقف عليها ولد صغير.

(2) البيدر: وهو مكان درس القمح، وكانت منطقة الجرن في الشمال الشرقي للبلدة بيدراً لأهل حرستا في الماضي، ثم تحول البيدر إلى منطقة قريبة من البلدة سميت فيما بعد بالبيدر الشمالي، وهناك بيدراً بالسهل غربي منطقة الإنتاج وكلا المنطقتين أصبحتا مأهولتين بالسكان بعد أن أصبح كل فلاح يدرس قمحه في حقله.

(3) الشَحْر: مؤلف من سلّمين خشبيين صغيرين يتصلان مع بعضهما من الأعلى وكل سُلُّم عبارة عن أربع درجات فقط توضع فوق القمح ويربط عليه في الجانب الخارجي فقط ثم يوضع على الحيوان المعدّ للنقل.

تفتيتُ سُوْق القمح : وتسمى هذه العملية في حرستا (دراس)، ويكون بعد أن تُمد أكوام القمح على شكل دائري بعد تنظيف وتسوية أرض البيدر وهذا ما يسمى (الطرحة) وتدور عليه فرس تجر وراءها لوح خشبي في أسفله الذي يمس القمح أحجار صغيرة سوداء بازلتية ومثبتة. ويركب على هذا اللوح ولد صغير يوجِّه الفرس. وكلما أصبح وجه الطرحة ناعماً قُلِّبت بواسطة (المذراة)، وبيومين كاملين تصبح ناعمة. فتجمع في كوم واحد على شكل مخروط وينتقل العمل إلى غيرها.

فَصْلُ الحَبِّ عَن القَشِّ : تسمى هذه العملية في حرستا (الدَّقُّ) ويكون بواسطة آلة خشبية تسمى (ماكنة)، وفي داخلها صفحات خشبية على شكل مروحة تدور بواسطة يد حديدية يديرها شخص فتتولَّدُ حركة هوائية تفصل القش الذي يتطاير ويتجمع في كوم واحد، بينما الحب الثقيل يتساقط تحت الماكنة. ويأخذ أصحاب الماكنة وأصحاب البيادر أجرتهم من القمح وتكون عادةً 7 مد من 100 مد، وبعدئذ يجمع الحب في أكياس وينقل إلى البيت، وكذلك ينقل التبن إلى المكان المخصص له وهو (المتبن).

تصويل القمح : بعد أن تمَّ نقل القمح إلى البيت تقوم النساء بتصويله (غسله) من قطع التبن الغليظة (العُقَدْ) والحصى والتراب، فيوضع في غربال (كربال) كبير له ثقوب صغيرة بحيث لا يمكن لحبة القمح أن تخرج منها، ويوضع الغربال في ساقية ماء نقية حتى يتحلَّل التراب وتترسب الحصى وتطفو قطع التبن فوق الماء، ثم يصعد به إلى السطوح أو أرض الدار لتجفيفه بالشمس ومن ثم يملأ في كناديج (عنابر)[1] خشبية توضع في زاوية بيت المونة.

الشَّعير : تأتي زراعة الشعير بعد زراعة القمح من حيث أهميته بين الحبوب الغذائية. وهو يزرع في حرستا عادة من أجل حبوبه التي تقدم علفاً للحيوانات والقليل منه يخلط مع دقيق القمح والذرة في صناعة الخبز. كما يزرع أحياناً لرعي الحيوانات وهو أخضر قبل أن يجف عوده ويشتد سوقه.

وقد أخذت العناية بزراعته تقلّ تدريجياً بسبب ضعف الاهتمام بتربية الخيول في البلدة، إذ كانت هذه الخيول تستهلك جزءاً مهماً من إنتاج الشعير، هذا بالإضافة إلى

(1) العنابر: جمع العَنْبَرُ، وهو مخزن الغَلَّة. وعَنْبَرُ الشتاء وعَنْبَرَتُهُ: شدَّته.

أن الشعير يعتبر من المحاصيل الفقيرة، فبدأ الفلاح يُعرض عنه، ولا يزرع منه سوى ما يسدّ حاجته.

وشروط زراعته تكاد تماثل شروط زراعة القمح. فالشعير لا يحتاج إلى خصوبة التربة وعمقها، لأن جذوره سطحية وتعيش على عمق قليل. فالتربة بالنسبة للشعير ليست عاملاً أساسياً من عوامل الإنتاج بعكس الحال بالنسبة للقمح.

والشعير قلَّما تُسمَّد أرضه، لأن التَّسميد يؤدي به إلى الضجعان (أي رقود النباتات على بعضها) مما يؤدي إلى صعوبة حصادها. والشعير يسبق القمح في النضج والحصاد بنصف شهر على الأقل. وتشبه عملية زرعه وحصاده وجميع العمليات حتى يصبح حباً تشبه عمليات القمح. ويزرع عادة في الحقول ذات التربة الفقيرة، بينما يزرع القمح في المناطق ذات التربة الغنيَّة.

الذرة: وتشمل الذرة بنوعيها الصفراء والبيضاء وكلاهما من المحاصيل الصيفية وتزرع الذرة الصفراء عادة من أجل حبوبها، وبينما تزرع الذرة البيضاء غالباً من أجل علفها الأخضر. وتستعمل في تغذية الحيوانات والدجاج بعد جرشها بالأيدي. وتجود الذرة كلما كانت التربة عميقة خصبة، وعندما تتكاثر سيقانها وتتزاحم تقلع الرديئة منها وتُعطى غذاء للماشية، وتسمى هذه العملية في حرستا (تَفْريد). وعندما تزرع لرعي الحيوانات تكون الغرسات قريبة جداً من بعضها ومتلاصقة (أي عَبيَّة) وإما أن تزرع للحب وتكون الغرسات بعيدة، ولذلك تصبح سوقها غليظة. وتؤخذ ثمرتها (عرانيسها) بعد أن توضع في الشمس لتجف وأما سوقها فتترك طعاماً للحيوانات. وبعض الذرة تزرع بين الخضراوات وتكون هذه لغذاء الفلاح فتؤكل مسلوقة أو مشويَّة.

الفول: وهو يخصب التربة، وإما أن يقطف وهو أخضر أو يُترك حباً، وإذا تُرك حباً فإما أن يدرس كما يدرس القمح والشعير، وإما أن تنزع قرونه عن سوقه، وبعدئذٍ تدق بعد تجفيفها بالشمس ليأخذ منها الحب. وتبن الفول يستعمل لإطعام الماشية فقط.

وفي موسم الفول يقبل الحرستانيون على أكل الفول يومياً، ويطبخ بالبرغل والزيت عادةً أو مقليٌّ (مقلّى) بالزيت البلدي مع بيض الدجاج أو الكزبرة، وأما حبّه

اليابس فمنه يأكلون في فصل الشتاء بعد نقعه بالماء ووضعه في جرَّة فخارية في التنور عقب الإنتهاء من الخبز.

الفصّة: وتعتبر من أهم المحاصيل العَلفيَّة الخضراء في البلدة، فهي أكثرها تغذية وربحاً وأوفرها غلة وأطولها عمراً، لأنها تزرع في الحقول لسنوات عديدة، وتسمَّى الفصة البلدية، وتعطي عدة قطفات (حشَّات) في السنة الواحدة ما يقارب (7 ـ 8 قطفات) ولا يكاد يخلو حقل منها، حيث يعوَّل عليها في تغذية الحيوانات التي تأكلها بشراهة، وهي أحسن علف لها خلال فصل الصيف الذي تَخضرُّ فيه وتجود، وهي تُكثر لبن البقرة وتُحسِّن صحتها.

وجذور الفصة وتدية عميقة، ولذا يمكنها أن تعيش بعلاً وتقاوم العطش متى تأصَّلت جذورها في الأرض، ويزداد نموها سنة بعد أخرى، ويكثر تفرعها بعد كل قطفة. وتتم زراعة الفصة بعد حراثة الأرض، وتكسير الكتل الترابية الكبيرة وتنعيم التربة وإزالة الأعشاب، كما ويُسوِّي الفلاح الأرض ويمهِّد سطحها، ثم تُقسم إلى مساكب ذات حواجز ضخمة (كُسُول) فيروي المساكب قبل الزرع، ومتى جَفَّت أصبحت معدّة للزرع.

وتزرع الفصة غالباً في الخريف أو الربيع، وربما زُرعت بالمشاركة مع محصول آخر إذا ما خُشيَ عليها من البرد أو الحر فيكون حامياً ومُظلِّلاً لها دون أن يشاركها ريثما تكبر، وللاستفادة من محصوله ريثما تنضج وتغل. وكثيراً ما كان الحرستانيون يزرعون الفصة في الخريف فيشركون معها الحلبة أو البيقية. وقد تزرع الفصة أيضاً في الصيف تحت ظلال الذرة الصفراء العلفية فتعطي محصولاً جيداً. فالنبات المظلِّل للفصة وإن أعاق نموها قليلاً إلاَّ إنَّ محصوله يساعد الفلاح على سد بعض حاجاته، وإذا ما نضج يحصد بينما تبقى الفصة مكانها وتستمر في نموها. وكثيراً ما كان أهل القلمون يقومون بضمان بعض حقول الفصة في حرستا.

البرسيم: تعتبر تربة حرستا من أنسب أنواع التربة لزراعة البرسيم وهو محصول شتوي يمكث في الأرض مدة طويلة، يؤخذ أثناءها عدة (مَسْحات) ويزرع محمولاً على البيقية أو الشعير الذي ينمو ويُظلِّله ويقيه شر الحرِّ. ويزرع في النصف الأول من شهر أيلول، ففي القطفة (الحَشَّة) الأولى التي تجري في أواخر تشرين الثاني، تحش البيقية أو

الشعير مع البرسيم. فتزول هي ويبقى البرسيم بسبب جذوره القوية والعميقة. وتعتبر الهندباء البرية من ألدِّ أعداء البرسيم في أرض البلدة، فهي تنمو بجانبه وتزاحمه، وتكاد تشغل نصف أرضه، وقد يتركها بعض الحرستانيين تنمو وتترعرع فيقلعونها ويأكلونها.

البيقية والحلبة : وهما من المحاصيل العلفية الشتوية، وتزرعان في حرستا إما من أجل حبوبهما وتسميان حينئذ (بالبيقية والحلبة الحبيَّة أو البيدريَّة) وإما للاستفادة من علفها الأخضر الذي ترعاه الأبقار والماعز الحلوب وذلك خلال فَصْلَيْ الخريف والشتاء وحينئذ تسميان (بالبيقية والحلبة الرعويَّة). والبيقية الرعوية أكثر انتشاراً من الحَبيَّة، وهي تنفع للتسمين أكثر منها لزيادة الحليب. أما حبوب البيقية فهي مغذية جداً، حيث تقوم مقام الشوفان والشعير للخيل، وتعطى للحيوانات أحياناً بعد جرشها وترطيبها بالماء، كما أنَّ تبنها يشكل غذاءً معادلاً لتبن القمح.

أما الحلبة فهي تزرع غالباً من أجل بذورها، وهي تفتح شهية الماشية، ويعتقد الحرستانيين أنها تسبب الإجهاض ولذا يمنعونها عن الأبقار الحوامل.

وتقتصر زراعة البيقية الحَبيَّة منها على أماكن محدودة من الغوطة تأتي في مقدمتها بلدتي دومة وحرستا.

ولا تتطلب البيقية أو الحلبة أكثر من حراثة واحدة قبل الزرع، وأخرى بعده، حتى أنَّ مزارعي دومة وحرستا الذين يَختصُّون بزراعة البيقية الحبية يعمدون إلى نثر بذور البيقية بعد حصاد القمح مباشرة دون إعداد سابق للأرض، ثم يحرثونها بعد زرعها حراثة سطحية كي تُطْمر تحت التربة، فإذا ما انتهوا من ذلك يروونها رية الزراعة.

أما البيقية والحلبة الرعوية فهم يحملونها غالباً على البرسيم ويجري ذلك بعد زرعها وطمرها، إذ ينثرون بذور البرسيم فوق البيقية أو الحلبة، ثم يطمرون هذه البذور بحزمة من أغصان الأشجار طمراً خفيفاً بسبب خفَّتها، فإذا انتهوا من ذلك يسقونها. وقد تحملان على الشعير من أجل علفها الأخضر وقلَّما تحتاج البيقية أو الحلبة إلى خدمة، فهما بحكم سرعة وشدة نموها تعدَّان من النباتات المتغلِّبة على غيرها والمنظفة لأرضها، ولكنها قد تُصاب (بالمن) وحينئذٍ تُحشُّ قبل أوانها، وهي تتطلب الري مرَّتين أو ثلاث بين كل منها 15 يوماً.

دوّار القمر : وهو محصول صيفي، يزرع من أجل بذوره، لأن زيته لطيف الطعم، صالح للأكل. وكان يزرع بين الخضراوات الصيفية من أجل الزينة، والعناية بزراعته لا تزال محدودة، حيث يزرع بشكل قليل في البلدة، ويزرع في أسفل حقول الباذنجان وبين اللوبياء والباميا، ولا يزرع وحده في مساحات واسعة كبقية المحاصيل، ويكفيه من المياه رية أو ريتان، وإذا زرع حول السواقي تكبر أقراصه ولكن يَقلُّ الزيت في بذوره.

زراعة الخضراوات:

تعدُّ زراعة الخضار نوعاً من الزراعة الكثيفة؛ التي تلائم ظروف البيئة الزراعية في حرستا، إذ يستطيع هذا النوع من الزراعة أن يفيد من توافر الأيدي العاملة، والأسمدة البلدية، والتربة الخصيبة، والمياه الوفيرة التي تحتاج إليها زراعة الخضر أثناء مواسمها الزراعية المختلفة. كما أنَّ اختلاف الحرارة الفصلية واليومية يساعد على تنوع إنتاج الخضر.

وقد عرف الحرستانيون منذ زمن طويل أهمية المحاصيل العلفية في تحسين أرضهم وزيادة انتاجها، إذ يحصلون على أفضل محصول بزراعته في أرض سبق زراعتها بأحد المحاصيل البقولية كالفول والحلبة والبرسيم والبيقية والفصة وغيرها. وقد اشتهرت حرستا بالخضراوات، وكانت تشتهر بزراعة البطيخ الأصفر. أمَّا الآن فأهم الخضراوات التي تزرع فيها هي:

الخيار : وله وقتان للزراعة إما في مطلع الربيع وإما في نهاية الصيف ويسمَّى عندئذٍ بالتشريني، كما وإنه يزرع على نوعين:

النوع الأول: فإما أن تزرع الأرض على شكل مساكب، وهو الغالب.

النوع الثاني: أو أن تجعل الأرض على شكل أنهار تسمى في حرستا (سَدَّة) أو (طَواريح) بينها فراغات تسمَّى (الضن) وفيها تمتد النباتات. وفي هذه الحالة يمكن أن نضيف إلى هذه الزراعة زراعات أخرى كاللوبياء والفاصولياء والبندورة والباذنجان بحيث تكون الزراعات الإضافية في الأنهار.

الباذنجان : وهو من أهم المزروعات الصيفية في البلدة، ونادراً ما يترك الفلاح زراعته، فإن لم يزرعه للتجارة فإنه يخصص له قسماً من أرضه لاكتفاءه الذاتي خلال فصل

الصيف، ومنه يتموَّن الفلاح لسد حاجاته في فصل الشتاء، إذ يقوم بتجفيفه (بتيبيسه) بالشمس، ومنه يصنع المكدوس. وخلال الصيف يقبل على أكله يومياً مقليٌّ بالزيت.

ويزرع الباذنجان عادةً بغرس نباته بالماء، إذ ينزل الفلاح مع زوجته وأولاده حافي القدمين بالماء ويبدأ الشتل، وتكون الأرض على شكل مساكب في الغالب ويحتاج الباذنجان عند تماسكه بالأرض إلى تقليب تربته وتسمى هذه العملية في حرستا (نَكش)، وربما أُعيدت هذه العملية حوالي ثلاث مرَّات. وبعد ظهور زهرة ثمرته يحتاج إلى تعطيش حتى يذبل نباته، ومن ثم يُسقى فَتَخْضَرَّ أوراقه وتظهر ثمرته.

القثَّاء: وتعرف في حرستا باسم (القتَّة)، وتزرع على شكل أنهار على الصورة التي رأيناها في زراعة الخيار، وتكون من النوع الجيد الممتاز ذات اللون الأخضر المائل للزرقة كما أنها تكون من النوع الطويل، حتى أن بعضها يزيد عن المتر تقريباً. ويعتني أهل حرستا ببذورها، وهي قتة بلدية يتداولون بذورها فيما بينهم.

الفاصولياء: وهي أنواع من المالطية، وتعتبر أكثر الأنواع شهرة، وتزرع إما على شكل مساكب وتكون للبيع، أو تزرع بصورة إضافية في أنهار الخيار والقثاء وتكون للإستهلاك المحلِّي، وتغرس عادةً بجانب النبات أغصان من الأشجار ليتسلَّق النبات عليه.

البندورة: وتكون زراعتها أيضاً على شكل مساكب أو على شكل أنهار، والتي تكون في المساكب تكون بذوراً، أما التي في الأنهار فأكثر ما تكون شتلاً (غرساً) ثم هناك أنواع أخرى كثيرة من الخضراوات، وأكثرها تكون للإستهلاك المحلِّي، وتبذر بذراً كاللوبياء البلدية والتي تحتاج إلى تعطيش حتى تنعقد قرونها وأكثر ما تزرع اللوبياء مكان القمح. وهناك الفليفلة فإنها تُشْتل شَتْلاً أي تكون غرسات مقتلعة من مناطق أخرى.

ما يقوم به الفلاح قبل الزرع:

تحرث الأرض في المرة الأولى وتترك لتستريح بضعة أيام وهو ما يدعى (بالقياض) ثم تعاد حراثة الأرض مثنى وثلاث وهو ما يدعى (بتطييب الأرض). وقد يقتصر الفلاح على الشقاق والثني فقط أي بشقِّ الأرض مرةً وتطييبها بحراثة أخرى فقط، ثم تُقسَّم الأرض إلى أحواض (مساكب) وتُسوَّى أرضها، وهو ما يدعى (بتهداية الأرض)، وأخيراً يبدأ البذر.

ما يقوم به الفلاح بعد الزرع:

تتوقف سقاية الأرض بعد البذر على حالة الجو ورطوبة الأرض، وتتوالى بعد ذلك أعمال (العزق) أي نكش الأرض وإزالة الأعشاب (التعشيب) حسب نوع الخضر. فالبقدونس والكزبرة مثلاً يحتاجان لإزالة الأعشاب الضارة فقط، بينما تتطلب الخضراوات الأخرى جميعها (نكش) الأرض وتعشيبها من العشب.

الفصل الرابع
استعمال الأدوات القديمة في الزراعة

1 ـ المحراث البلدي : هو المحراث الروماني القديم الذي يجرّه ثوران، وهو لا يدخل في الأرض كثيراً، ولكن إذا كان المحراث الآلي الحديث يمكن استخدامه في بعض الأراضي الزراعية في حرستا كما هو الحال في الأرض الشمالية، فإن كثيراً من الأرض الأخرى لا يمكن أن يستعمل. فالأرض الغربية تكون التربة النباتية عبارة عن طبقة رقيقة تجثو على طبقة من الصخر، لذلك لا يمكن استعمال المحراث الآلي، وكذلك فبقية المناطق كلها كانت عبارة عن مناطق مُشجرة تكثر فيها جذور الأشجار وأغصانها المنخفضة، لذلك لا يمكن استخدام هذا المحراث الآلي فيها وهذا ما كانت عليه البلدة في النصف الأول من القرن الماضي.

والمحراث القديم يتكون من سكة حديدية مخروطية الشكل ومجنَّحةٌ بجناحين وقابضة تُثَبَّتُ بها قطعة طويلة من الخشب يستند قسمها العلوي ويتصل بنير يحمله زوج من الثيران يقوده الحرَّاث ويغرزه مستنداً على عصا مزودة بمقبض ومثبتة في قلب السكة أيضاً. وعندما تصغر أرض الفلاح لا يستعمل المحراث المزدوج بل يستعمل محراثاً فردياً تجره دابة واحدة. وقد بقي هذا المحراث البلدي على حاله منذ أجيال عديدة لم ينله أي إصلاح، فهو لا يُقلِّب التربة بل يشقُّها شقاً، ولا يتجاوز عمق خطه أكثر من 10 ـ 20سم، وهذا غير كاف لحاجة جذور النباتات، وعرض خطه قليل أيضاً فيبقى قسم من الأرض بين الخطوط بوراً ومُغطًّى بالتراب مما يضطر الفلاح إلى تكرار الحراثة مرتين أو ثلاث كما أنه لا يحرث الأرض إلى عمق ثابت، فهو يُتعب الفلاح وكثيراً ما تمس الحاجة إلى إصلاحه. وقد احتلت الزراعة الآلية مساحة كبرى في الحياة الزراعية في البلدة، وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، مع أنَّ هذه المحاريث الحديثة قد أعطت نتائج جيدة، وأصبح الفلاح ينظر إليها بعين الرضا لما توفره عليه من أعمال، إلاَّ أنها ما تزال تصادف بعض العقبات التي تحد من انتشارها، وفي مقدمتها صعوبة العمل والحركة بين الأراضي المشجرة وحرستا كلها شجراء، ثم الحاجة إلى رأس المال اللازم والذي قد لا يتوفر لدى

الكثيرين من أصحاب الملكيات الصغيرة. وأخيراً تَسلُّط الآراء القديمة الموروثة على عقول بعض الفلاحين الذين يرون في دخول الآلة إلى أراضيهم نذير سوء وشؤم يهدِّد المحاصيل الزراعية والأشجار بالهلاك.

2 ـ الجافونة (الشوَّافة)[1] : وتتألف من قطعة خشبية اسطوانية الشكل، طولها من 2 ـ 3م، وقطرها من 20 ـ 30سم تقريباً، يجرها حصان أو ثور بواسطة حبلين مثبتين على الأطراف، وهذه القطعة الخشبية لا تدور ولكنها تزحف وتُمهِّد الكتل الترابية[2] الكبيرة أثناء مرورها، وإذا كانت الكتل كبيرة الحجم فهي تعمل على دفعه أولاً ثم تقفز من فوقه، وقد يركب الفلاح فوق هذه الجافونة أحياناً أو يركب عليها ولد صغير يقوم بتوجيه الدابة ليحصل على نتائج أفضل. وهذه العملية تسمَّى الدَّحل أو التشويف أو التسويف أو الجَفْن والغرض منها ضغط التراب وجمع ذراته وتسوية سطح الأرض وتغطية البذور الدقيقة وقتل الحشرات المضرَّة وغير ذلك.

3 ـ لوح الدِّراس : ويُسمَّى (النَّورج)، وهو من الخشب طوله 5 . 1م وعرضه من 80 ـ 100سم، وفي أسفله تثبت قطع من الحجر البازلتي، ويجرّه بغل أو حصان أو زوج من الثيران، ويقف الفلاح أو ابنه على اللوح لقيادة دوابه التي تعدو فوق الحصائد الملقاة على أرض البيدر وتكون على شكل دائرة تسمى (الطرحة). ويقوم الفلاح بتقليب الطرحة بواسطة (المذراة)، حتى إذا انفصل الحب عن القش توضع فوق التبن والحب طبقة من الحصائد لم تُدرس بعد.

4 ـ المذراة : وتُعرف في حرستا باسم (المدراية)، وهي قطعة خشبية تتألف من عصا طويلة ملساء غليظة، طولها نحو 1,5م وفي طرفها قطعة تشبه راحة الكف ذات أربعة أصابع حديدية أو خشبية رفيعة ومنفرجة عن بعضها في نهايتها، وتستعمل في تقليب الحصائد بعد تفتيتها وردِّها أثناء سير اللوح.

5 ـ المَرُّ : وهو عبارة عن قطعة حديدية مثلثة الشكل يتجه أحد رؤوسها إلى الأسفل ويعلوها قضيب خشبي صغير يستند عليه القدم، ويقدر طول الساعد بمترين وتسمى

---

(1) وتعرف في مصر باسم (الزحَّافة).

(2) وتسمى في حرستا باسم (الكَدَر): وهي كتل التراب الكبيرة والمتماسكة أحياناً، وواحدها (كَدْرَة).

(العصاية) يستخدمه الفلاح لحفر فتحات على جوانب السواقي ومن أجل فتح وإغلاق المواصي، كما يستعمل في قلب الأرض أحياناً حينما تكون المساحة صغيرة. وتُسمَّى هذه العملية (العزاق) أو (العَزْق) بالمر.

6 ـ المسحاة : وهي عبارة عن قطعة حديدية عرضها 60سم، وأحياناً 90سم تثبت فيها قطعة خشبية طولها حوالي 60سم مزودة بمقبض خشبي في قسمها العلوي، وفي طرفي القطعة الحديدية حلقتان يربط بهما الحبل، ويعمل فيها رجلان وجهاً لوجه، الأول يغرز القطعة الحديدية في التربة لبضعة سنتيمترات والآخر يَشدُّ الحبل إليه فيجر الأتربة، وبذلك تتشكل حواجز ترابية بين المساكب يسمى الواحد منها (كسلْ) وتسمى هذه العملية في حرستا (التسحاية). فالمسحاة تعمل على تسوية الحقل، يَستخدمها الفلاح ليحصل على سطوح أفقية، وليرفع في حقله حواجز صغيرة تساعد على توزيع المياه على نسق واحد وقت الري.

7 ـ المنجل : وهو أقدم أدوات الحصاد المعروفة، ولا يزال منتشراً حتى الآن، ويتألف من نصل حديدي ذي شكل مقوَّس، وله يد خشبية ملساء، إلاَّ أنَّ عمله بطيء ومتعب، ويسمى المنجل الكبير منه (طارة) وتستخدم في حصاد القمح والشعير أما الصغير فيسمى (قالوش) ويستخدم لحش الفصَّة. وهناك (القطفة) التي تستخدم في قطع (شفاية) أغصان الأشجار وتكون غليظة وثقيلة.

8 ـ ومن الأدوات التي استعملها الفلاح الحرستاني وما زال يستعملها ليومنا هذا (المنكاش)، و(النكَّاشة)، و(القاشوشة) التي تستعمل لجمع القش المتساقط أثناء جمع (رَجاد) الحصائد إلى أرض البيدر. وهناك (الغزَّالة) المصنوعة من الحديد وتستعمل لنكش المزروعات الصيفية كاللوبياء والباميا وربَّما استخدمها الفلاح لتحريك التربة بعد نكشها بالمنكاش.

الفصل الخامس
تربية الحيوانات

يلحق بالزراعة تربية الحيوانات، ويعتني أهل حرستا بصورة خاصة بالحيوانات ولكنها تكون ملحقة وتابعة تماماً للزراعة، وهي المورد الثاني بعد الزراعة لغذاء الأهالي وأهمها:

1 ـ الأبقار: يأتي البقر في مقدمة الحيوانات التي يعتني بها الفلاح الحرستاني، فلم يكن يخلو حقل منه. وأشهرها في حرستا قديماً البقر البلدي، كثير الحليب، وطويل الرأس مستقيم الجبهة تكثر الشقرة والحمرة الضاربة إلى السواد في لونه. والجدير بالذكر أن البقر في حرستا يربَّى لاستخدامه في الأعمال الزراعية والاستفادة من لبنه، ولحراثة الأرض. والفلاحون في حرستا يأتون بأبقارهم ومواشيهم ودوابهم مساءً إلى البيت في البلدة، فكنت ترى طرقات البلدة وأزقتها مزدحمة بقطعان الغنم والماعز والأبقار، وتسمع أصواتها مساءً وكأنك في سوق للمواشي.

2 ـ الماعز: ماعز حرستا كالبقر البلدي له أصالته، فهو ذو رأس طويل وقصبة أنف محدَّبة في الغالب، وآذان طويلة متدلية ويقطعونها من وسطها ومعظمها جماء لا قرون لها، ولها ثوب أحمر، أو أحمر ملمَّع ببياض، وقد تكون شهباء أو سوداء أحياناً وقد تجمع ثلاثة ألوان متفرقة البياض والحمرة والسواد. فإذا كانت حمراء وجبهتها بيضاء سميت (صَبْحاء)، أما إذا جمعت البياض والحمرة فتسمى (عجميَّة)، وإذا ظهرت لها قرون تظلُّ صغيرة وكثيراً ما تقطع، وينمو لكل منها زَنَمتان طويلتان وعندها تسمى (قرطاء) تزيد ثمنها، وإذا كانت أذناها طويلتان متدليتان وكثيراً ما يزيد طول واحدتها على شبر وتسمى (جَدْلاء).

والبلدية من أجود الماعز الحلوب، وتُرعى في حرستا حول السواقي وضفاف الأنهار العامة، وهي سَلِسَةُ القيادة لهدوء طبعها، ولم تتعوَّد الصعود إلى الجبال من أجل الكلأ بل تعيش في حقولَ البلدة. وبعضها يضرُّ بالأشجار وخاصة أشجار الزيتون، لذلك عمد أهل البلدة لمنع رعي الماعز في الأراضي المشجَّرة. ويقدَّر عدد الماعز في حرستا في القرن الماضي

بحوالي 600 رأس وربما يصل عددها إلى 1000 رأس تقريباً. ويسمون الأنثى منها (بعنزة) وذكرها (فحل)، وصغيرها (جدي)، وصغيرتها (سَخْلة).

3 ـ الأغنام: تُربَّى الأغنَام في معظم أنحاء البلدة، فهي لا تكلِّف الفلاح جهداً ولا تأخذ منه وقتاً. وتأتي حرستا بعد داريا ودومة وزبدين في تربية الأغنام ويبلغ العدد فيها من 400 إلى 1000 رأس تقريباً.

وفي نهاية كل موسم يقوم أصحاب القطعان برعي المزروعات والحشائش، وربما ترعى في الأرض البور وعلى ضفاف الجداول والأنهار. وقد تكون تربية بعض الخرفان بصورة خاصة لدى بعض الفلاحين وتكون الخرفان لصنع (القاورمة)[1] التي تكون غذاءً للفلاح في فصل الشتاء، وهذه الخرفان تعيش عادةً على فضلات الخضراوات وحشائش الأرض وتبقى مربوطة بمكانها، ويمكن أن نقول بأن صنع القاورمة أصبح بحكم النادر.

فالقاورمة هي مؤونة أيام الشتاء، ومتى حلَّ شهر حزيران من كل عام يشتري كل بيت في حرستا خروفاً ويُسلِّمه إلى المرأة، فهي مسؤولة عنه، فتقوم صباحاً باكراً وتذهب مع بعض من تريد من النساء إلى الكروم والحقول ويجمعن قدر طاقتهن من الأعشاب وورق الشجر ولا سيما ورق التوت والعنب، ويجتمعن ببعضهن في الحارات وأمام الدور وكل واحدة تضع رأس الخاروف تحت إبطها وتأخذ بحشي فمه مما أمامها من العشب والورق رغم أنفه إلى أن تفتح خواصره ويسمون هذه العملية (التَّزْقيم)، وبعد الإنتهاء من التزقيم يؤخذ الخاروف إلى مجرى ماء ليشرب ثم يترك وشأنه حتى قبل الغروب فَتُعاد عملية التزقيم وغسل الخاروف بالماء والصابون بين فترة وأخرى، فهي عملية لا بُدَّ منها. وهذا شأن المرأة مع الخاروف من حزيران حتى أواسط تشرين الأول، وخلال هذه المدة يسمن الخاروف ويعجز عن المشي وربما بلغ وزن الخاروف الواحد من 80 ـ 90كغ وهذه ميزة تتباهى بها المرأة وتزهو بها على أترابها. ومتى حلَّ تشرين الأول يحلُّ معه موعد ذبح هذه الخرفان، فتقام وليمة في البيت الذي يذبح فيه، فيدعى إليها الأهل والأقارب وما يبقى من اللحم بعد الوليمة يقطع قطعاً صغيرةً ويُقلَّى على النار ويوضع في القدور النحاسية فيجمد ويوضع مؤونة إلى الشتاء فيأخذون منه كلما احتاجوا ويطبخونه مستغنين بذلك عن لحم السوق الذي يندر وجوده آنئذٍ وهو يكفيهم حتى نهاية الربيع. ومتى جاء حزيران يعيدون سيرتهم الأولى.

---

(1) القاورمة: كلمة تركية، معناها اللحم المقلي أو المحمَّص.

4 ـ الخيول : كان للخيل أهمية كبيرة في البلـدة، وأهمها الخيـل الأصليـة التي تعدُّ للركوب وبعضها لجرِّ العربات. وهنـاك الأكـاديش ومفردهـا (كديش) هـي أكثرهـا انتشاراً وكانت تُجلب من الأناضول بشكل خـاص، ومنـها المولـدة (التـي تولـد مـن أم عربيـة وأب عجمي أو بالعكس). وتستخدم في جرِّ الطنابر وغالباً ما يكتفـي الفـلاح الحرسـتاني بإقتنـاء حصان (كديش) يستخدم في النقل والحراثة وجرِّ العربة.

5 ـ الحمير : وهو حيوان يُصلح للركوب والحمل، ولا يوازيه حيوان بصبره وقناعته وفوائده الجمَّة إذا قيست بالعلف القليل الذي يُوضع له، ويركبه الرجل والمرأة والولد، فهو يستخدم في الحيازات الصغيرة لقلة تكاليفـه وصلاحـه لكثير مـن الأعمـال الزراعيـة. فـهو يستخدم لحمل المحاصيل ونقل روث الحيوانات من مكان لآخر بواسطة السـريجة. والحمـير في حرستا صنفان: البلدية والعادية، فالأولى كبيرة الجبهة يكثر فيها اللون الأسـود، ومنـها الأشهب والأبيض وتستخدم في الركوب وحمل الأثقال وشدِّ العربـات (الكرَّاجـات). أمـا الصنف العادي فهو المألوف من الحمير ذو الحجم الصغير. وكان عددها في حرستا لا يزيـد عن 225 حماراً.

6 ـ البغال : وتستعمل في الحراثة وجرِّ الطَّنابر (العربات)، وكان عددهـا فـي البلـدة لا يزيد عن مئة بغل.

7 ـ الجمـال : استعملها الحرستانيون فـي أعمـال الرجـاد، ونقـل الغـلال. واشـتهر بتربيتها في البلدة كثير من العائلات.

8 ـ الدجاج وتربية الحمام : قد لا يخلو بيت من بيوتات البلدة مـن الدجـاج، وهـي تُربَّى للاكتفـاء الذاتـي مـن أجـل البيـض البلـدي ذو الصفـار الشـديد اللـون، ومـن أنواعـها الدجاج الرزِّي. ويبني لها الحرستاني بيتاً خاصاً بها أو ربما بناه في زاوية الاصطبـل ويُسـمى (القُنُّ)[1]. وأكثر ما يحصلون على فراخها من دجاجة تسمى (القرْقَة)[2] تجلس على بضـع بيضات يُفَقِّسْنَ بعد إحدى وعشرين يوماً. ومنهم من يُربِّي الحمامَ من أجل التَّسْلية وتطيـره (كَشِّه) ويصنع لها بيتاً خاصاً بها فوق سقف داره ويسمى (حَبيسْ).

---

(1) القُنُّ: كُمُّ القميص، وقُنُّ الدجاجِ، مأواه.

(2) القرْقَة: الدجاجة التي تقعـد علـى بيضـها. أُخـذ هـذا الاسـم مـن قرقـتِ الدجاجـةُ أي صوَّتـت وهـي عاميـة، وفَصيحها «الرَّنقاء».